جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة ماستر

اللغة والأدب العربي
دراسات أدبية

أدب عربي قديم

رقم: ق/35

إعداد الطالبتين:
مرزوقي مروى
مطلوق صابرين
يوم: **19-06-2023**

الوقفة الزمنيّة في رسالة التّوابع والزّوابع لابن شهيد الأندلسي

لجنة المناقشة:

زوزو نصيرة	أستاذ	جامعة بسكرة	رئيسا
دخية فاطمة الزهراء	أستاذ	جامعة بسكرة	مشرفا
غنية بوضياف	أ مح أ	جامعة بسكرة	مناقشا

السنة الجامعية: **2023/2022**

جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة ماستر

اللغة والأدب العربي
دراسات أدبية

أدب عربي قديم

رقم: ق/ 35

إعداد الطالبتين:
مرزوقي مروى
مطلوق صابرين
يوم: **19-06-2023**

الوقفة الزمنيّة في رسالة التّوابع والزّوابع لابن شهيد الأندلسي

لجنة المناقشة:

زوزو نصيرة	أستاذ	جامعة بسكرة	رئيسا
دخية فاطمة الزهراء	أستاذ	جامعة بسكرة	مشرفا
غنية بوضياف	أ مح أ	جامعة بسكرة	مناقشا

السنة الجامعية:**2023/2022**

شكر وعرفان

أول من يُشكر ويُحمد آناء اللّيل وأطراف النّهار، هو العلي القهّار، الأوّل والآخر والظاهر والباطن، الّذي أغرقنا بنعمه الّتي لا تُحصى، وأغدق علينا برزقه الّذي لا يفنى، وأنار دروبنا، فله جزيل الحمد والثناء العظيم القائل في محكم التنزيل:

" وفــوق كـــل ذي علـــم عليـــــم"

سورة يوسف الآية 76.... صدق الله العظيم،

هو الّذي أنعم علينا إذ أرسل فينا عبده ورسوله "محمد ابن عبد الله" عليه أزكى الصلوات وأطهر التّسلم، أرسله بقرآنه المبين، فعلّمنا ما لم نعلم، وحثّنا على طلب العلم أينما وُجد.

لله الحمد كلّه والشكر كلّه أن وفّقنا وألهمنا الصّبر على المشاق الّتي واجهتنا لإنجاز هذا العمل المتواضع.

والشُّكر موصول إلى كل معلّم أفادنا بعلمه، من أولى المراحل الدّراسية حتى هذه اللّحظة.

كما نرفع كلمة شكر إلى المشرفة "**دخية فاطمة الزهراء**" الّتي ساعدتنا على إنجاز بحثنا المتواضع.

كما نتقدّم بوافر أمنياتنا وبخالص الشكر للأستاذة المحترمة "**عجيري وهيبة**" الّتي فضّلت علينا ولم تبخل علينا بوقتها، وعلى كل ما قدمته لنا.

ولا يفوتنا أن نُوجّه شكرنا إلى جميع أعضاء اللّجنة الّذين تشرّفنا بقبولهم مناقشة هذا العمل العلمي.

وإلى كل من مدّ يد العون من قريب أو بعيد، ماديا أو معنويا في إنجاح هذا العمل كل باسمه.

أشكر الله سبحانه وتعالى على فضله أن يسر لنا هذا العمل راجين من الله عزّ وجل أن يكون هذا العمل علماً نافعاً يُستفاد منه.

الإهـــــداء

أهدي ثمرة عملي المتواضع إلى:

الشمس الّتي تُنير حياتي ولولا نورها لما كانت حياتي "**أمي الغالية**"

قمري الّذي يمنحني شعاع الأمل في الدنيا "**أبي الغالي**"

من كانت بسمتهم تثبيتاً لوجودي إخوتي "**صلاح، ريان، زينو، وليد، أيوب**"

سندي وشريك دربي الّذي شجّعني على العمل في ساعات التّعب والملل "**خطيبي إلياس**"

رفيقتي الّتي شاركتني في كل خطوة من خطوات البحث "**مروى**"

مطلوق صابرين

الإهـــداء

أهدي تخرّجي

إلى النُّور الّذي أنار دربي والسّراج الّذي لا ينطفئ نوره بقلبي أبداً، إلى من لا ينفصل اسمي عن اسمه والحاضر بروح قلبي لا يغيب -**إلى "أبي الغالي" رحمه الله**-

إلى **أمي** ثم **أمي** ثم **أمي**.. ليس فقط لأنك آويتني في رحمك الدافئ تسعة أشهر وتعاركتي مع الموت لتمنحيني الحياة في ميدان المخاض فكل الأمهات تفعلن ذلك.. إنّما لأنك كنتي منذ أنجبتني حتّى هذه اللّحظة أُماً عظيمة إلى الحد الّذي أشعر فيه بأنك كثيرة عليّ...

إلى من ساندني وساعدني طيلة مشواري الدراسي في مرحلة الماستر.. إلى رفيق الدّرب، وصديق الأيّام جميعاً بحلوها ومرّها: خطيبي الغالي "**عوام**".. أهديك هذا البحث تعبيراً عن شكري لدعمك المستمرّ

إلى أخواتي الوحيدتين "**هناء وسندس**".. وإلى الّتي بمثابة الأخت الكبيرة والأم "**نادية**".. أنتم مصدر السعادة في حياتي

إلى إخوتي "**نبيل. عقبة. عياد. عماد. جمال. بشير**".. أنتم حصنٌ وحرزٌ وحبٌ وسعادات

إلى زميلتي الّتي كانت معي في كل الصّعاب ولا تزال هكذا والّتي كانت يد بيد في كل شيء

"**صابرين**"

أهدي إليهم هذا الجهد المتواضع، سائلةً العليّ القدير أن ينفع به، إنّه سميع مجيب.

مرزوقي مروى

مقدمة

مقدمة

الرِّسالة فن من الفنون الأدبيَّة وشكل من أشكال النَّثر، الَّتي ظهرت إرهاصاتها مُنذُ العصر الجَّاهلي وصولاً إلى العصر الأندلسي، وشهدت الرِّسالة في هذه العصور تطوُّراً كبيراً وحظيت باهتمام النُقَّاد والدَّارسين، ويرتبطُ عنصر الزّمن ارتباطاً وثيقاً بالرِّسالة، ويُعدُّ هذا الأخير من أهم العناصر السَّرديَّة الَّتي تدخل في تركيب البناء الرِّوائي؛ فهو بمثابة المحور الأساسي والقالب الَّذي تُبنى عليه الأحداث، فلا يمكن تصوُّر حدث خارج نطاق الزَّمن، ومن هُنا جاء بحثنا الموسوم "**بالوقفة الوصفيّة في رسالة التَّوابع والزَّوابع لابن شُهيد الأندلسي**"، وتمَّ اختيارنا لهذا الموضوع بدافع أساسي، وهو استمرار اهتمام النُقَّاد والباحثين بهذا الفن. دفعنا فُضولنا العلمي لاكتشاف أسراره واستكشاف ما يختلف خلف كتابات النَّثر الأندلسي، الَّتي تحمل رسائل مُتنوِّعة تتناول مختلف المواضيع، ومن هنا كان الإشكال كالآتي: **كيف وأين تجلّت الوقفة الوصفيّة في رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد الأندلسي؟**

ولِفك الإشكال اعتمدنا على خُطّة بحث مُنقسمة إلى مُقدّمة، وفصلين نظري وتطبيقي، وخاتمة ومُلحق.

الفصل الأوَّل: جاء تحت عنوان "فن الترسُّل في الأدب العربي"؛ تناولنا فيه مفهوم فن الترسُّل وأنواعه وخصائصه، دون أن ننسى ترجمة لحياة ابن شُهيد ومع معاصريه وأدبه، **والفصل الثَّاني**: المعنون بـ "تمظهرات الوقفة الوصفيّة في رسالة التّوابع والزّوابع"؛ خصَّصناه لتعريف الزّمن من قِبل بعض النُقَّاد والفلاسفة، وزمن الرِّسالة ومتى كُتِبت، ثُمّ تطرَّقنا إلى المفارقات الزَّمنيَّة بنوعيها الاسترجاع والاستباق، ومن ثمّ زمن السَّرد من خلال تقنية تسريع السَّرد الخلاصة والحذف، وتقنية تبطيء السَّرد المشهد الحواري والوقفة الوصفيَّة. أنهينا بحثنا بخاتمة احتوت على مجموعة من النَّتائج المتحصِّل عليها من خلال دراستنا، أمّا الملحق فقد تناولنا فيه ملخّصاً لِرسالة التّوابع والزّوابع.

واتبعنا في دراستنا لهذا البحث المنهج البنيوي مُستعينين بآليتي الوصف والتَّحليل، وقد حاولنا الاستفادة من الدِّراسات السّابقة؛ كمذكِّرة الماجيستير لِعطية فاطمة الزهراء الموسومة بـ: "بنية الخطاب في رسالة التّوابع والزّوابع لابن شُهيد الأندلسي".

وفيما يخصُّ المصادر والمراجع الَّتي كانت سنداً لنا، نذكر على رأسها "رسالة التّوابع والزّوابع لابن شُهيد الأندلسي"، وكتاب "الصِّلة في تاريخ أئمّة الأندلس" لأبي القاسم ابن شكوال، إضافة إلى كتاب "بنية الشّكل الرِّوائي-الفضاء،الزمن،الشّخصيّة-" لحسن بحراوي، وكتاب "تاريخ الأدب الأندلسي – عصر سيادة قرطبة-" لإحسان عبَّاس، وغيرها من الدِّراسات الأكاديميَّة الَّتي تعدَّدت.

وفي الأخير، لا يسعنا إلاَّ أن نشكُر اللَّه الَّذي وفَّقنا لهذا، ولا ننسى جُهد الأستاذة المشرفة دخية فاطمة الزهراء، الَّتي لم تبخل علينا بنصائحها وتوجيهاتها القيِّمة، ونتمنَّى لها مزيداً من النَّجاح في الحياة العلميّة والعمليّة، كما نتقدّم بالشُّكر الجزيل للأستاذة الفاضلة عجيري وهيبة.

الفصل الأول

فن الترسل في الأدب العربي

I. **الرسالة:**

1- تعريف الرسالة.

1-1 لـــغة

1-2 اصطلاحا

2- أنواع الرسالة.

2-1الرِّسالة الديوانية

2-1-1 التوقيعـات

2-1-2 التولية والتعيين

2-1-3 رسائل العهود

3- الرِّسالة الإخوانيَّة

3-1 الاعتذار

3-2 المودَّة والصداقة

3-3 الاستمناح والطلب

4- الرِّسالة الأدبيـة

4-1 الهزليَّــة

4-2 الزَّرْزوريّــات

4-3 الرحلات الخياليَّة

3- خصائص الرسالة في الأندلس.

3-1 البدء والعرض والختام

3-2 الاقتباس والتضمين

3-3 الإيجاز والإطناب

3-4 سهولة الألفاظ وجزالتها

II. ترجمة ابن شُهيد.

1- حياتـــه.

1-1 نسبه ونشأته.

1-2 صفاته وأخلاقه.

1-3 وفـــاتـــه.

2- مع معاصريه.

2-1 أصحابه.

2-2 خصومه.

3- أدبـــــه.

3-1كـاتـبا.

3-2 شـاعـرا.

3-3 نـاقـد

I. الرِّسالة:

الرِّسالة هي إحْدى الفنُون الأدبيَّة النثريَّة الَّتي عرفهَا العرب في قديم الزَّمان والشَّائِعة بين النَّاس، وللرِّسالة أبْعاد لُغوِيَّة وأُخرى اصطلاحية قدْ تمَّ تداوُلها ووضعُها مِن قِبَلْ أهَمْ المعاجِم في تَقصِّي حقيقة هذا المصطلح وبيان ماهِيتهُ، ومِن خِلال ذلك لا بُدَّ أنْ نَقِف عند المفهوم اللُّغوي والاصطلاحي للرِّسالة.

1- تعريف الرسالة

1-1 لغة:

وردت هذه اللَّفظة في القُرآن الكرِيم كثيراً حيثُ نجِدُها في قَوْله، عزَّ وجَلْ: "كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنْكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ"[1]

بِمعْنى أَرْسلْنا فِيكُمْ مُحَمَّد صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّم يَتلُوا الْقُرآن وَيُطهِّرُكمْ مِنْ دَنسِ الشِّرْك ويُعلِّمُكم الْقُرآن ومَا فِيه مِنْ أحْكام.

كمَاْ جَاءَتْ في ضَرْبٍ آخر في قَوْلِه تَعَالَى "فَأْتِيَاْهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا نَبِى إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِئَايَةٍ مِّنْ رَّبِّكَ وَالسّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى"[2]

جَاْءت هذه الآية الكرِيمة بِمعْنى أَنَّ مَنْ أسْلَم فَقدْ سَلمَ وَنَجى مِنْ عَذابِ الله وَمِنْ عِقَابِه.

فِي حِين وَرَدت فِي مَوْضِع آخرْ، في قولِ المولَى عَزَّ وجَلْ:"فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاْ قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ"[3]

نَفْهم مِن هذِه الآية الكريمة أنَّه أبَلغَ رِسالتَهُ في التَّرْغِيبِ والتَّرْهِيبِ وتَقْديم النَّصِيحة.

فَقدْ تَعدَّدت الأَمْثِلة الَّتي تُوحِي بِلفْظة الرِّسالة، وَالَّتِي تَمَّ ذِكرُهَا في القُرآنِ الكريم وَهذا مَا يَجْعل الرِّسالةَ مَحطْ الْأَنْظار وَالتَّساؤُلات لِمعْرِفةِ حَقِيقتِها.

[1] سورة البقرة، الآية 151.
[2] سورة طه، الآية 47.
[3] سورة الأعراف، الآية 79.

جاءَ مَفْهُوم الرِّسَالة فِي لِسانِ العَرب لابن منظُور في مَادةِ رَسَلَ إِلَى أَنَّ " الإرْسالَ،التَّوْجِيه، وقَدْ أَرْسل إليه، والإسْم الرِّسالة والرِّسَالة والرَّسُول والرَّسِيل. والرَّسُول مَعْنَاه فِي اللُّغة الَّذِي يُتابِعُ أخْبَار الَّذِي بَعَثهُ..."[1]

مِنْ خِلالِ هَذَا القَوْل نَستنْتِج أَنَّ لَفْظة رَسَلَ حَملتْ مَفْهُوم التِّكْرار واتَّسمَتْ بِصفَاتِ التَّأنِّي وَالتَّودُّد والرِّفْق.

أمَّا في مُعْجم مُخْتار الصِّحاح فَقَدْ وردَ تعريفُهَا كَالآتِي "رَاسَلَهُ مُرَاسَلَةً فهُو مُراسِل ورَسِيلْ وأَرْسلهُ في رِسَالة فَهُو مُرْسِل ورَسُولْ والجَّمْع رُسْلٌ ورُسُلٌ والمرْسلات الرِّياح وَقِيل المِلائِكة والرُّسُل أيضا الرِّسَالة"[2]

نَسْتخلِصُ مِنَ المفَاهِيمِ السَّابِقة أَنَّ لَفْظة الرِّسالة لهَا تَعارِيف كَثِيرة وَمُتنوِّعة يَخْتلفُ كُلْ تَعرِيف عَنْ آخرْ وَكُلُّ مَفْهُوم لَهُ مَعْناه الخَاصْ ويُمْكِن أَنْ نَقُول بِأَنَّ لَفْظ الرِّسَالة مُشْتق مِن الجِذْرِ اللُّغَوِي مِنْ مَادَّةِ "ر.س.ل".

1-2اصطلاحا:

تَنوَّعت التَّعْرِيفَات الاصطلاحية لِمفْهُوم الرِّسَالة مِنْ بَاحِثٍ إلى آخر فَلِكُلِّ وَاحِدً مِنْهُم وِجْهة نَظرْ، فَقدْ عَرَّفهُ جَبُّورْ عبد النُّور بِأنَّ " التَّراسُل هو حدِيثٌ خَطِّي بَيْنَ الْكَاتِب وَالْمُوَجَّه إلَيْه، وَهُو يَسُد في وَاقِعِه، حَاجةً اجتماعية وَلَيْسَ لهُ في الأصْلِ أَيَّ طُمُوحٍ أدَبيٍّ لِأنَّ الْغَاية الأُولَى مِنْهُ هِي وَصْل إثْنين أو أكْثر ذِهْنيًّا عَنْ طرِيقِ التَّكاتُبْ فَهُوَ إذْ يَتَّصِفُ بالخُصُوصيَّة والمِأْلُوفِيّة"[3]

نَسْتنتجُ مِنْ هذا التَّعرِيف أنَّ الرِّسَالة هِيَ نَصٌّ نَثْريٌّ يَتِمُّ مِنْ خِلالِهَا تَبَادُل وَنقْل المِعْلُومَات بَيْن وَجْهَتَيْن مَحْدُودَتَين أو أَكْثر.

[1] ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم)، لسان العرب، مادة رسل، دار الصادر بيروت، ج11، د-ت، د-ط، ص283.
[2] عبد القادر الرازي (محمد بن أبي بكر)، مختار الصحاح، مكتبة لبنان، بيروت، د-ط، د-ت، ص102.
[3] عبد النور جبور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، ط2، 1984م، ص63.

وَفِي مُنْعطفٍ آخَرٍ يُعرِّفُها فَايِزْ عَبْد النَّبِي فَلَّاح القَيْسِي ، بِقوْلِهِ " الرِّسالةُ هِيَ لَونٌ مِنْ ألْوَان النَّثْر الفَنِّي الجَمِيل، وَضَرْبٍ مِنَ الضُّروبِ الَّتِي تَنْهَالُ عَلَى القَرِيحةِ انهيالا وَلَاْ يَكادُ يَختلِفُ مَفْهُوم الرِّسَالة الأدَبِيَّة عِنْدَ الأنْدَلُسيِّين عَنْ مَفْهُومِها عِنْدَ المشَارِقَة فَالْأدَبُ فِي عُرْفِهِمْ جَمِيعاً يَنْقسِمُ إلى أصْلَين أساسِيَين : مَنْظُومٌ وَمَنْثُورٌ والْمَنثُور مِنْهُ، وَالخَطْبُ وَالرَّسائِلُ، وَهُما فَن وَاحِداً أو فَنَّانْ مُتَقَارِبان يُقَابِلان الشِّعر"[1]

مِنْ خِلَال هَذا القَوْل نَسْتنتِج أنَّ الرِّسالَة تُعدُّ فَنّ مِنَ الْفُنون النَّثرِيَّة الجَّمِيلَة وَهِيَ نَدًّا لِلشِّعْر وَكُفُؤاً لَهُ.

كَمَا يَتحدَّدُ تَعرِيف اصطلاحي آخر حَيْثُ يَقُول أبُو هِلَال العَسْكرِي أنَّ " الرَّسائِل وَالخُطَبْ مُتَشاْكِلتَان فِي أنَّهُما كَلام لا يَلْحَقُهُ وَزْنٌ ولا تَقْفِيَة وَقَدْ يَتَشَاكلانْ أيْضاً مِن جِهَةِ الأَلْفاظ وَالفَواصِل فَأَلْفَاظ الخُطباءْ تُشْبِه أَلْفاظ الكِتاب فِي الْسُّهُولَة والعُذُوبَة وكذلك فَواصِل الخُطَبْ مِثْل فَواصِل الرَّسائِل ولا فَرْق بَيْنَهُما إلاَّ أنَّ الخُطبَة يُشَافَهُ بِها والرِّسالَة يُكْتَبُ بِها والرِّسالَة تُجْعلُ خُطبَة والخُطبة تُجْعَلُ رِسالَة فِي أيْسرِ كُلْفَة"[2]

يَرى أبو هِلال العسكري أنَّ الرِّسالَة تُرادِفُ الخُطبة فِي تَشاكُل الألفاظ والفَواصِل وفِي السُهولَة والعُذُوبَة وتُحرِّر مِنَ الأوزَان والْقَوافي وهُناك فَرقٌ واحِدٌ بين هاتَينِ الأخيرَتَيْن، الرِّسالَة تُكتَب والخُطبَة تُلْقَى مُشَافَهَةً.

وفِي مُنعطفٌ آخر يَقُول أحْمَد الهاشِميّ: " الْمُكاتَبة وتُعرَفُ بالمراسَلة؛ هي مُخاطَبة الغائِب بِلسانِ القَلمِ وفائِدتِها أوْسَع مِن أنْ تُحْصَر مِنْ حيثُ أنَّها تُرجُمانْ الجِّنَان، ونائِب الغائِب فِي قضَاءِ أوَطارِه ورِباطِ الوِدادِ مَع تَباعُد البِلاد"[3]

نُلاحِظ أنَّهُ قَدْ رِبط الرِّسالَة بالكِتابَة فعَمليَّة التَّرسُل عِندَهُ تكُون بَيْن مُرْسَل وَمَرْسَل إلَيْه عَنْ طَرِيقِ الكِتَابَة وَلَيْسَت المشَافهَة.

بِناءعلى ما تَقدَّمْ يُمْكِنُ القَوْل أنَّ لِلرِّسالَة عِدَّتْ مَفاهِيم، حَيثُ تُعدُّ قِطْعَةٌ نثْرِيَّة فَنيَّة وَجِنْس أدَبِي يَحْمِلُ فِي طَيَّاتِه مَعانِي عَديدَة وتُعْتبر مِنْ أهَم وَسائِل التَّواصُل.

[1] فايز عبد النبي فلاح القيس، أدب الرسائل في الأندلس في القرن 5ه، دار البشير، عمان، الأردن، ط1، 1989م، ص83.
[2] أبو هلال العسكري،الصناعتان الكتابة والشعر، دار النشر المكتبة العصرية، بيروت، ج1، ط1، 1952م، ص136.
[3] أحمد الهاشمي، جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، المكتبة التجارية الكبرى، ج1، ط27، 1969م، ص44.

2- أنواعُ الرِّسالة:

الْرِّسالَة مِنْ فُنُون النَّثر الأدَبِي تُظْهِرُ مَقْدِرة الكاتِب ومَوْهِبتَهُ الكِتابِيَّة ورَوْعة أساليبِه، فَمِنْ خِلالِ هَذا قَدْ تَعدَّدتْ أنْواعُ هَذه الرَّسائِل فَظهرتْ فِيهَا ثَلاثُة اتِّجاهات هِي:

2-1الرِّسالة الدِّيوانيَّة:

يُعَرِّفُها فايز عبد النبيّ فلاّح القِيسي في كِتابِه بِقوْلِه " هِيَ تِلْك الرَّسائِل الَّتي تُعالِج أُمُور السِّياسَة الْعامَّة لِلدَّوْلَة مِنْ حَيْثُ الإدارَة والتَّنْظيم الدَّاخِلي والتَّشْريع والقَضاء والاقتصاد وَمَا إلَيْهَا مِنْ مَهام تَتَعلَّق بِالحَياة العَامَّة وشُؤُون الرَّعِيَّة"[1].

فَقدْ أقَرَّ مِنْ خِلالِ مَفْهُومِه هَذا بِأنَّ الرِّسالَة الدِّيوانِيَّة؛ تَصْدُر عَنْ دِيوان الخَلِيفَة أو المِلك لِتَصْرِيف أعْمال الدَّولَة وَتَهْتمُّ بِكُلِّ مَا لَهُ علاقَة بِشُؤُون السِّياسَة والحُكْم.

إنَّ أيْسَر تَعْريف للرَّسائِل الدِّيوانيَّة هو تعريف مُحَمَّد نَبِيْه حِجَاب لَها بِقَوْلِه " هِيَ رَسائِل مُعبِّرَة عَنْ رَغْبة السُّلْطَان أو مَنْ بِيَدِه الأمْر إلى الشَّعْبِ أو الوُلاَّة في الأقاليم أو القُوَّاد في الميادين، وإليهِ تُردُّ الإجابَة، وَمِنْ ثَمَّ كانَتْ مُقيَّدة بالفَرْض والتَّقاليد الرَّسْميَّة"[2].

ومِنْ هَذا المنْطلق يُمْكِنُنا القَوْل إنَّها رَسائِل تُرْسَل مِنْ إدارات الدَّوْلَة وشَخْصيَّاتِها المخْتلِفة ويُعْتَبرُ الدِّيوان مَصْدَرُها الأساسي، وتَتَناول أعْمال الدَّوْلة كَأخْذِ البِيعَة لِلْخُلفاءِ وَتَوْلِيَة الوُلاَّة.

وفي تَعْريف آخر لِفايز عبد النبيّ، يَقُول: " الرَّسائِل الدِّيوانِيَّة مُتعدِّدة كَثِيرَةُ الأغْراض وَمِنْ أهَمْ ألْوانِها في هَذِه الفَتْرة: رَسائِل الَّتوْلِيَة والتَّعْيين، ورَسائِل التَّوْجِيهَات، وَالوَصَايا وَالأوامِر الإدَاريَّة الْمُختلِفة إلى جَانِب التَّبْصير بِشُؤون التَّنْظِيم الدَّاخِلي"[3].

[1] فايز عبد النبي فلاح القيسي، أدب الرسائل في الأندلس، المرجع السابق، ص111.
[2] محمد نبيه حجاب، بلاغة الكتاب في العصر العباسي، مكتبة الطالب الجامعي، ط2، 1986م، ص96.
[3] فايز عبد النبي فلاح قيسي، أدب الرسائل في الأندلس، المرجع السابق، ص111.

يَتبيَّنُ لَنا أنَّ مَوْضوعات الرَّسائِل الدِّيوانيَّة مُتنوِّعة وَمُتعدِّدَة، تَشْملُ بِدَورِها رَسائِل التَّوْقيعات ورَسائِل التَّوْلية والتَّعْيين، وَشُؤُون الإدارَة وكُل مَا لَهُ عَلاقَة بِأُمُور الرَّعِيَّة.

2-1-1التَّوْقيعَات:

اختَلَفتَ الآراءْ حَوْل تَحدِيد مَفْهُوم لَفْظة التَّوْقيعات مِن وِجْهة نَظَرْ الدَّارِسِين وَالنُّقَّاد، حَيْثُ نَجِد أحْمَد حَسَنْ الزَيَّاتْ يُعَرِّفُها، بِأنَّها: " هِيَ مَا يُعلِّقُه الخَلِيفَة أو الأمير أو الوَزِير أو الرَّئيس عَلى مَاْ يُقَدَّم إلَيْه مِنْ الكُتُب في شَكْوَى حَالْ أو طَلَبْ نَوالْ، ومِيزَتُهَا الجَّمْع بَيْنَ الإيجازْ والجَّمال والقُوَّة، وقَدْ تَكُون آية أو مَثَلاً أو بَيْت شِعْر"[1].

هِيَ تَعْبيرَاتْ مُوجَزَة يَكْتبُها الخَليفَة أو السُّلْطان تَعْليقاً عَلى الرَّسائِل الَّتِي ترد مَوْقِع الخِلَافَة وهَاتِه التَّوْقيعَاتْ لَهَا ثَلاثَةُ أشْكَال إمَّا آية قُرآنِيَّة أو بَيْتاً شِعْرِيًّا أو مَثَلاً سَائِراً.

وَيُمْكِنُ تَعْريفُها أَيْضاً بِعِبارَة أُخْرَى "هِيَ عِبارات مُوجَزَة بَلِيغَة تُعَوِّد مُلُوك الْفُرْس وَ وُزَرَائِهِم أَنْ يُوَقِّعُوا بِهَا عَلَى مَا يُقَدَّم إلَيْهِم مِنْ تَظَلُّمَات الأفْرَاد فِي الرَّعِيَّة وَشَكْواهُم وَحَاكاهُم خُلَفَاء بَنِي عَبَّاس وَوُزَرَائِهِم فِي هَذَا الصَّنِيع، وَكَانَتْ تَشِيعُ فِي النَّاسِ وَيَكْتبُهَا الْكُتَّاب وَيَحْتَفِظُونَهَا، وَقَدْ سَمُّو الشَّكَاوِي وَالظّلامات بِالقِصَصْ لِمَا تَحْكِي مِنْ قِصَّة الشَّاكِي وَظَلامَتِهِ، وَسَمُّوها بِالرُّقَاع تَشْبيهاً لَهَا بِرُقاع الثِّياب"[2].

يَتَبيَّنُ لَنا أنَّها مُلاحَظات أَوْ هَوامِش يُدَوِّنُها الْمُلوك أَوْ الوُلَّاة عَلَى الرَّسائِل الْمَرْفوعَة إلَيْهِم مِنَ الشَّعْب.

وَكَذلِك عَرَّفَها فايِز عَبْد النبيّ القيسي، بِأُسْلوبٍ آخَرْ: "هِيَ تِلْكَ التّوْقيعات الَّتِي كَانَ يَرُدُّ بِهَا أُمَراء الأنْدَلُس عَلَى بَعْض الرَّسائِل وَالشَّكاوِي الَّتِي كَانَتْ تُرْفَع إلَيْهِم، وَقَدْ مَالُو فِيها إلَى الإيجاز وَالبَساطَة فِي التَّعْبير وَالابْتِعاد عَنْ التَّعْقِيد وَالتَّكلُّف"[3].

[1] أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي للمدارس الثانوية والعليا، دار نهضة ومصر-الفجالة- القاهرة، د-ط، د-ت، ص 219-220.
[2] شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول، دار المعارف، القاهرة، ط8، د-ت، ص 489.
[3] فايز عبد النبي فلاح القيسي، أدب الرسائل في الأندلس، المرجع السابق، ص 237.

وَنَسْتخلِص أَنَّ التَّوْقيع هُوَ مَا يُوَثِّقُه الوَزير أَوْ الْمَلِك عَلَى مَا وَصَلَ إِلَيْه مِنْ طَلَبْ أَوْ شَكْوَى أَوْ رَدْ مَظْلَمَة وَتَمَيَّزَتْ هَاتِه التَّوْقيعَات بِجَمَالِ الأُسْلوب وَالبَلَاغة الْمُتْقَنَة وَالإيجاز الشَّديد.

2-1-2 التَّوْلِيَة وَالتَّعْيِين:

يُعَرِّفُها فَايِز عَبْد النبيّ القيسي فِي كِتَابِه "أَدَبُ الرَّسَائِل فِي الأَنْدَلُس"، فِي قَوْلِه: "رَسَائِلُ التَّوْلِيَة وَالتَّعْيين تُعْنَى بِرَسْمِ السِّياسَة العَامَّة الَّتِي يَجِبُ عَلى الوالِي أَنْ يَسْلُكُها فِي إدارَةِ شُؤُون وِلايَتِه"[1].

وَهَذا يَعْنِي أَنَّ الرَّسائِل تَهْتمُّ بِالْخُطوطِ العَامَّة لِلحُكْمِ فِي تَسْيِير شُؤُون الإدارَة.

وَمِنْ رَسائِل التَّوْلِيَة وَالتَّعْيين مَا كَتبهُ "الحَكَم المسْتَنْصر إلى أصْبَغ بْنُ مُحَمَّد بْنُ فَطِيس يُوَلِّيه نِصْف كُورَة ريَّة، حَيثُ يقول: "فاسْتعِن بالله، وَخُذْ بالرِّفْقِ فِي أمْرِكَ، وَقِلَّةِ الرَّغْبَةِ فِي شَأْنِكَ، واجتنبْ التَّحامُل على رَعِيَّتِكَ، فإنَّها من حَفيِّ عناية أمير المؤمنينَ بموضع لا يُتْرَكُ مَعَهُ البحثُ عن أحوالِها، والكشفُ عن سيرتِكَ فيها إنْ شاء الله"[2].

نفهمُ من خِلال هذا القول أَنَّهُ بَيَّن لهُ العديد من الأمورِ الَّتي عَليه أنْ يلتزمَ بِها في مجلسِ القَضاء، وقدَّمَ لهُ مجموعَة مِنَ الوصايا مِنْها: الإسْتِعانَة بالله عَزَّ وجَلْ وآداء واجِباتِه نَحْو رَعِيَّتِه، وحدود عَمَلِهِ، وإعْطاء لِكُلِّ ذي حَقٍّ حَقَّهُ.

2-1-3 رسائل العُهود:

وَتُعدُّ رَسائِل العُهود ثانِي نَوْع مِن أنواعِ الرَّسائِل الدِّيوانيَّة، فَقَدْ كانَ "يُدَبِّجُها كاتِب الرَّسائِل على لسانِ الخليفة لِمَنِ اختارَهُ لِولايَة الخِلافَة مِن بَعدِه، وَتُعْرَف حينَئِذ -بِعَهْدِ الوِلايَة- وَتُكْتَب أحْياناً على لِسانِ الخليفَة أو الأمير بالأمانِ لثائِر أو خارِج على الدَّوْلَة، أوْ لِدوْلة مُجاوِرَة زالَت أسْباب الخِلاف معها، وتُعْرَف حينَئِذ -بِعَهْدِ الأمَان-"[3].

[1] فايز عبد النبي فلاح القيسي، أدب الرسائل في الأندلس المرجع السابق ، ص112.
[2] المرجع نفسه، ص 112-113.
[3] المرجع نفسه ، ص 117.

لِرسائِل العُهود غَرضين أساسيَّين هُما:

_عَهْد الوِلايَة: رِسالَة تُكْتَبُ على لِسانِ الخليفَة مُوجَّهَة لِوالِي الخِلافَة الَّذِي يَليه

_عَهْد الأمان: تُكْتبُ كَذلِك عَلى لِسانِ الخَليفَة لِعددٍ مِنَ الثَّائِرين، وانْتشَرَ هذا النّوْع مِنَ العُهودِ لِكثْرةِ الْفِتَنِ والثَّوْرات في الأندلسِ.

إضافةً إلى ذلكَ "كَانَ الكُتَّاب وهم يَكتُبون مِثل هَذهِ العُهود يَنْتهِجَون أسْلوباً خاصاً، ويَنتقون مَعانِي تتماشَى مع طبِيعةِ هَدف العَهد المتميِّز عَن غيْرِهِ مِن الرَّسائِل الدِّيوانيَّة. فَقد كانَ الكاتِب يَبْدأُ بالنّصِ على العَهدِ كمَا تَقدَّم، ثم يتدرَّج إلى بيانِ الصِّفاتِ الكريمة والمناقِب العظيمَة الَّتِي تجمَّعت في وليّ العَهد، فاسْتحقَّ بها وِلايَة العهد"[1] .

منْ خلالِ هذَا يُمكنُنا القَول أنَّ كُتَّاب العُهود في رسائِلهِم يسْردُون العهد مع توصياتِه، ثُمَّ ذِكْر المناقِب وَالصِّفات الَّتي أهَلَّت الملِك المعْهُود بالخِلافَة وتَتَميَّزُ هذهِ الرَّسائِل بجمالِ الأسلوب وألْفاظ مُنتقاة.

2-2الرَّسائِل الإخوانيَّة:

يأْتِي هذا النَّوع منَ الترسُّل مُقابِل الترسُّل الدِّيوانيّ فقدْ عرَّفها فايز عبد النبيّ القيسي بأنَّها هيَ "تلكَ الرَّسائِل الَّتِي تُصوِّر عواطف الكُتَّاب وانفِعالاتِهم ومشاعِرِهم الخاصَّة، واصطلحتْ كُتب الأدب على تسمِيَتِها بالرَّسائِل الإخوانيَّة"[2].

فمِنْ هنا نفهمُ بأنَّ الرَّسائِل الإخوانيَّة؛ هيَ رسائِل وِجدانيَّة بِدرجة أُولَى لأنَّها تُعبِّر عنْ كلْ ما يجُولُ في خاطرِ المرسل منْ مشاعر وعواطف جيَّاشة اتِّجاه المرسل إليه.

[1] فايز عبد النبي فلاح القيس، أدب الرسائل في الأندلس، المرجع السابق ، ص 117.
[2] المرجع نفسه، ص 100.

وفي منعطفٍ آخر نجدُ مُحمَّد رضوان الدَّاية، يقول: "هيَ رسائِل يُعبِّر فيها الكاتِب عنْ قضايا خاصَّة وأمُور شخصيَّة، أو تتعلَّقُ بشأنٍ من شؤونِه في علاقاتِه مع الأهلِ والأصدقاء، ممَّن قرَّب مكانهُ أو بعدَ مزارهُ"[1].

وهذا يعني أنَّها رسائِل وِديَّة أُخويَّة يتبادلهُا الأصدقاء والأحباب والأهل فيما بينهم، تدورُ حولَ قضايَا شخصيَّة أو اجتماعية أو وجدانيَّة؛ وهيَ تساعِد على ربطِ العلاقاتِ الاجتماعيَّة بينهم.

أمَّا عن محمَّد نبِيه حِجاب فقدْ أعطاها تعريفاً آخر من وجهة نظرِه، يقولُ فيه: "هيَ تلكَ الرَّسائِل الشخصيَّة الَّتي كانتْ تعبِّرُ بعيدة عن الدِّيوان إلى أحدِ الإخوانِ في أمورٍ خاصَّة لا تتعلَّقُ بشؤونِ الملكِ ولا بسياسةِ الدَّولةِ، أو تتعلَّقُ بها بصفةٍ غير رسميَّة كالتَّهنئَة والتَّعزِيَة والشَّكوَى والعِتاب والاستعطاف وغيرِ ذلك، ممَّا يُصوِّر العواطف الخاصَّة بِقدر ما بين الأفراد من روابط وصلات"[2] .

إذنْ نستنتجُ أنَّها رسائِل يتبادلهُا الأفراد فيما بينهم تخلُو منَ الرَّسميَّة، وبعيدةً كلّ البُعد عنْ الدِّيوانِ، تختلفُ موضوعاتُها بحسبِ مقتضَى الحال ولها أغراضٌ متعدِّدة نذكرُها فيما يلي: العِتاب والاعتذار، الشَّكوى والاستعطاف، التَّهاني، التَّعازي، والشُّكر...وغيرهم.

2-2-1الاعتذار:

يعتبرُ هذا اللَّون من الرَّسائِل "آيةٌ من آياتِ الوفاءِ والصداقةِ والمودَّةِ بين المترسِّلين، وفي هذا اللَّون من الرَّسائِل يعتذرُ الكاتبُ للمخاطبِ عن تقصيرِ حدثٍ منهُ ويحاولُ التقرُّب مِنهُ واستدرار عطفهِ ومحبَّتِهِ وعفوهِ"[3].

حيثُ يقصدُ بهذا اللَّون من الرَّسائِل تلكَ الَّتي تدورُ حولَ اعتذار الكاتِب للمخاطبِ عن أمرٍ معيَّن حدثَ معهُ، يطلبُ منهُ العفوَ ومسامحتهُ عن الخطأِ الَّذي بدرَ منهُ، ويستعطفهُ بطريقةٍ ما تجعلهُ يغفرُ لهُ ذنبهُ.

[1] محمد رضوان الداية، في الأدب الأندلسي، دار الفكر، دمشق -سوريا-، ط1، 2000م، ص 228.
[2] محمد نبيه حجاب، بلاغة الكتاب ف العصر العباسي، المرجع السابق، ص102.
[3] فايز عبد النبي فلاح القيسي، أدب الرسائل في الأندلس، المرجع السابق، ص 102.

ومنْ رسائِلِ الاعتذار تلكَ الرِّسالة الَّتي كتبها الفقيه أبُو إبراهيم رداً على رسالةِ العتابِ الَّتي بعثها إليهِ الحكم بن عبد الرحمان النَّاصر، وفيها يقولُ "قرأتُ أبْقَى الله الأمير –سيدي– هذا الكتاب وفهمتهُ، ولم يكُن تَوقُّفِي لنفسي، إنَّما كان لأميرِ المؤمنين سيدنا أبْقَى الله سلطانهُ"[1].

فالواضحُ من هذا أنَّهُ يُعبِّرُ عن اعتذاره من الخليفة عبد الرحمان الناصر، لِتخلُّفِهِ عن حضورِ الحفلِ الَّذي دعاهُ إليه، بألفاظٍ وعباراتٍ قويَّة وأسلوبٍ سلس.

2-2-2 المودَّة والصَّداقة:

وهيَ أيضاً بابٌ من أبوابِ الرِّسالة الإخوانيَّة "فهيَ تعبِّرُ عن صدقِ العواطفِ، وتصوُّر الوفاء والودّ الَّذي يربطُ الخلفاءَ والأمراء بوزرائِهم أو وُلاَّتِهم أو أفرادِ رعيَّتِهم ولا سِيَما أنَّ علاقةَ خلفاء الأندلس وأمرائه بوزرائِهم وولَّاتِهم وغيرهم، قدْ امتازت في معظمِ الأحيانِ بالودِّ الخالصِ"[2].

ومهما يكن من أمرٍ فإنَّ هذا اللَّون منَ الرَّسائِل يكشفُ لنا عنِ العلاقة الَّتي تربطُ الخلفاء بوزرائِهم الَّتي امتازت بصدقِ المشاعرِ والحبِّ المتبادلِ بينهم.

ومن هذهِ الرَّسائِل نجدُ "الرِّسالة الَّتي كتبها الخليفة الحكم المستنصر إلى وزيره جعفر بن عثمان المصحفي جواباً على رسالتهِ الَّتي بعثها إليه يشكُو فيها حالهُ وقد أجابهُ الخليفة برسالةٍ رائعةٍ تدلُّ على نُبلهِ وكرمهِ وفضلهِ، وتعبِّر عن صدقِ عواطفهِ نحوَ وزيرهِ، فقدْ أبدى فيها ألمهُ وحزنهُ لِما حلَّ بوزيرهِ من يأسٍ وانقطاعِ رجاء إذْ كتب إليه، يقول: "قرأنَا كتابكَ بما ذكرتَ من اشتداد حالكَ ووقوعِ يأسكَ، وارتفاعِ رجائكَ، فعظم علينا ذلك، وكثُرَ غمُّنا بهِ وأشفقْنا منهُ، ونرجو أنْ يأتي الله بخير، ويعقب بعافية"[3].

فالواضحُ من هذا أنَّ الخليفة الحكم المستنصر بعثَ برسالةٍ موجزةٍ وألفاظٍ منتقاةٍ عبَّر فيها عنْ صدقِ مشاعرهِ اتجاه وزيره جعفر بن عثمان كما عبَّر فيها عنْ حزنهِ لما حدث لهُ.

[1] فايز عبد النبي فلاح القيسي، أدب الرسائل في الأندلس، المرجع السابق ، ص 102.
[2] المرجع نفسه، ص 106.
[3] المرجع نفسه، ص 106.

2-2-3 الإسْتِمْنَاح والطَّلب:

يُعدَّان غرضان مُهمَّان في الرَّسائِل الإخوانيَّة "في هذا الضَّرب منَ الرَّسائِل كان الكاتبُ يسلكُ مسلكَ الشَّاعر في طلبِ الرَّفدِ والعطاءِ، حيثُ يصفُ خصالُ الممدوح الحميدة، لذا فإنَّهُ يغلِبُ على هذهِ الرَّسائِل طابعُ المديح، وتتَّسمُ بالبراعة في الصياغة"[1].

نلاحظُ أنَّ هذا اللَّون منَ الرَّسائِل يُعدِّدُ فيه الكاتبُ الصِّفات الحسنةِ والمحمودةِ للأمراءِ والحكَّامِ للتقرُّبِ منْهُم وكسبِ رضاهُم مقابِل طلب العطاء.

2-3الرِّسائل الأدبيَّة:

الرّسالة الأدبيَّة منْ أهمِّ الفنُون النَّثريَّة مُنذُ القِدم، وَتطوَّرت عَلى مرِّ العُصور، حتَّى وصلت إلَى العصرِ الأندلسيّ تَعدَّدت فِيها مَواضيعٌ وأساليبٌ جديدَة وتَميَّزت إلى حدٍّ كبيرٍ، وَقَدْ تناولت رسائِل عديدة منها: الهَزليَّة مثل: رسالِة ابن زيدُون وغيرِها، وغَرضُ الدُّعابَة والفُكاهِة كرِسالةِ ابن شُهيد.....، والرَّسائِل الَّتي تُقالُ علَى لِسانِ الأزهارِ والألوانِ ومَا يخصُّ الطَّبيعة، ومِنْ هُنا نَذكُر أهمّ الأغراض الَّتي تناولَتْها الرِّسالَة الأدبيَّة في الأندلس:

2-3-1 الرَّسائِل الهزْليَّة:

وَيُقصدُ بِها الرَّسائِل الهزليَّة أو الفّكاهيَّة، "تِلكَ الَّتي تُعالِجُ موضُوعاً جِدياً بِمنوالٍ ساخِرٍ، وذلكَ بالْمُبالغةِ أوْ التَّهوِيل في التَّصويرِ والعَرْضِ"[2].

وهذا النَّوع احْتلَّ مَكانةً رفيعة في الأدبِ الأندلُسيّ في القَرْنَينِ 4 و5، وتَندرجُ هذهِ الرَّسائِل في نوعين:

أوَّلهُما: السُّخريَة التَّهكُّميَّة، أمَّا النَّوْع الثَّاني: السُّخريَة الفُكاهِيَّة.

[1] فايز عبد النبي فلاح القيسي، أدب الرسائل في الاندلس، المرجع السابق ، ص 104-105.
[2] المرجع نفسه، ص 233.

- السُّخرية التَّهكُّميَّة: "تُعدُّ مِنْ أرْقَى أنواع الفُكاهَة لِما تَحتاجُهُ مِن ذكاءٍ حادٍّ وخِفَّةٍ وَمَكرٍ وبراعَةٍ وقُدرةٍ على الحيلةِ والخيال، فهيَ تُوجَّه إلى شخصٍ أوْ أمْرٍ مَا لِتُحوِّلهُ إلى أُضْحوكَة، ونفي محاسنهُ، وتصلُ إلى حدِّ الإقذاع والهجاءِ، وهيَ بهذا تقومُ على السُّخريةِ والتَّهكُّم والاسْتهزاء"[1].

ورِسالة ابن زيدون الَّتي عُرفت بالرِّسالةِ الهزليَّة؛ هيَ منْ أشهرِ الرِّسالة الأندلسُيَّة في موضوعِ السُّخريَّة التهكُّمِيَّة.

- السُّخريَة الفُكاهِيَّة: "هيَ أخفُّ ألوانِ الفُكاهةِ، إذْ تقومُ على وصفٍ لشيءٍ مُضحك، كمَا هُوَ في ذاتهِ بقصدِ التَّسليةِ والتَّرفيهِ، إنَّها سُخريَّة بريئَة قصدُها التَّنَدُّر والإضْحاكِ والتفكُّهِ"[2].

2-3-2 الزَّرْزُورِيَّات:

تُعدُّ الزَّرزوريَّات مجموعة من رسائِل التفكُّه والسُّخريَة، وحَضِيَتْ بِمكانةٍ مُستقلَّة في الأدبِ الأندلُسيّ لمْ نجد لها مثيل عندَ المشارقة، وأوَّل منْ كتبَ فيها أبُو الحسن بنُ سِراج، وهذا الاسم نسبةً إلى الزَّرْزُور؛ طائِر صغيُر الحجم يُشبِهُ العُصفور.

"أوَّل ما وردت عبارةُ الزَّرزُور كانت في رِسالةِ كتبَها أبُو الحسن بن سِراج إلى أحدِ رجالِ عصرهِ يشفعُ فيها لِرجلٍ يُعرفُ بالزُّرَيْزِرِ (مُصغَّر زَرْزُور)، وأضْفى على الرِّسالةِ نوعاً منَ الدُّعابةِ الطَّريفةِ"[3].

وفي موضعٍ آخر نجدُ تأكيد على كلامنا السَّابق، بأنَّ ابن سِراج "هُوَ أوَّل منْ أثار هذا اللَّوْن من الرَّسائِل، ويَرْمِي هذا اللَّون من الرَّسائِل إلى وصفِ أصحابِ الكُديةِ منَ الأدباءِ الأندلسيِّين في إطارٍ من الفُكاهةِ والسُّخريةِ، حيثُ اتَّخذ الكُتَّاب من صُورةِ الزَّرزور إطاراً يتحدَّثون فيهِ عن الكُديةِ وأصحابُها، وذلكَ لما يمتازُ بهِ من خِفَّةٍ وحركةٍ ونشاطٍ"[4].

[1] ينظر، فايز عبد النبي فلاح القيسي، أدب الرسائل في الأندلس، المرجع السابق ، ص 234.
[2] المرجع نفسه، ص 238.
[3] محمد رضوان الداية، في الأدب الأندلسي، المرجع السابق، ص 235.
[4] فايز عبد النبي فلاح القيسي، أدب الرسائل في الأندلس، المرجع السابق، ص259.

2-3-3 الرَّحلات الخَياليَّة:

هاتهِ الرَّسائِل يَحكي فيها الشُّعراء والكُتّاب عنْ رحلاتِهِم إلىَ عالَمِ الجنّ واتِّصالهِم بشياطينِ الشُّعراءِ والكُتَّابِ، ويَعرِضُوا من خِلالِها آراءَهُم في اللُّغةِ والأدبِ، مثلَ رِسالة التَّوابِع والزَّوابِع لابن شُهيد؛ وهيَ منْ أبرزِ ما كتبَ من رسائِل هذا النَّوع (الخَيالْ).

حيثُ أقرَّ أحمد ضيف في كِتابِهِ "بلاغةُ العرب في الأندلسِ" أنَّ "نثرهُ أعجبُ مِن شِعرهِ منْ حيثُ أسلوبهِ الخياليّ القصَصِي والميلِ إلى ذلك"[1].

وأيضاً "الأسلوبُ الَّذِي كُتِبَتْ بهِ رسالةُ ابنُ شُهيد فهُوَ أسلوب خياليّ تَهكُميّ ويُسمِّيه الأُدباء أسلوباً هزْلِياً، كما ذكرَ ابن بسَّام أثناءَ كلامِه عن ابن شُهيد: فصول من رسالة سمَّاها بالتَّوابِع والزَّوابِع صدرتْ عنهُ مصدرَ هَزْل تشتملُ على بدائِع وروائِع"[2].

3- خصائِص الرِّسالَة في الأندلس:

قَدْ تطوَّر البِناء الفنّي لِلرِّسالةِ في الأندلُس معَ تطوُّرِ أغراضِها ومَوْضوعاتِها، فَتميَّزت بِمجموعَةٍ منَ الخصائِص منْ أجلِ تفرُّد الرِّسالة في الأندلُس عمَّا قبلِها.

منْ بينِ هذه الخصائِص ما يلي:

3-1البَدْءُ والعَرْضُ والخِتام:

اختلفَ الأندلُسيِّين عنِ المشارِقَة في مَطالِع الرَّسائِل وخَواتِيمِها، فاتَّخذت رَسائِلهُم في الشَّكلِ شكلاً جديداً.

"تبدأُ بالدُّعاءِ لِلمرسَلِ إليهِ، أوْ بالمنظُومِ، أوْ بِالدُّخولِ في الْموضوعِ مُباشرة تبعاً لتَنوُّع مقامات المرسل إليهِم، واستخدامِ الألقابِ الَّتي تَتَناسبُ، ومنْ يكتبُ إليهِ أميراً أو وزيراً أو صديقاً، ومنَ الأمثلةِ الَّتي تبدأُ بالدُّعاءِ إلىَ المرسلِ إليهِ، قَوْل أبي عُبيد البكريّ مُهنِّئاً الْمُعتمِد بنُ عبَّاد بانتِصارِ المسلمين في

[1] أحمد ضيف، بلاغة العرب في الأندلس، مطبعة مصر،مصر، ط1، 1342ه-1924م، ص47.
[2] المرجع نفسه، ص 48.

معركةِ الزَّلّاقة«أَطالَ اللهُ بقاءَ سيِّدي، ومَوْلاي الجَليل القدر، الجَّميل الذِّكر، وهنَّأ ما منحهُ من فتحٍ ونصْرٍ واعْتِلاءٍ»"[1].

وسنختصرُ القَول في المقدِّمة والعرضِ والخاتمةِ بإيجازٍ لماَ فيهِم من عناصرٍ:

أ_ المُقدِّمة (الاستهلال)

"هُناكَ عدداً منَ الرَّسائِل لا تخلُو منَ البَسْملةِ ومُقدِّماتِ الاستفتاح، حيثُ تبدأُ بالبسملةِ، والصَّلاةِ على الرَّسولِ الكريمِ"[2].

ب_ العَرْض (الموضوع)

"الانتقال من المقدِّماتِ إلى العرضِ؛ هَو ابتداء الخُطَّاب بذكرِ ألفاظٍ، أو عباراتٍ تدلُّ على ابتدائهِ بالخِطابِ، كقولِه: كتبتُ، وكِتابي، وكِتابُنا، وخِطابي، وأمَّا بعد...."[3].

ج_ الخاتِمة

وهيَ آخرُ شيءٍ في الرِّسالةِ، فإمَّا تكونُ دعاءٌ لِلمرسَلِ إليه أو السَّلام عليهِ، "تكونُ في الغالبِ بلفظِ السَّلام أو بتعبيرٍ –برحمةِ الله وبركاتهِ–، وتكونُ مسبوقَة بالدُّعاءِ، كما تشتملُ كثيرٌ من الرَّسائِل على التَّاريخِ المتمثِّل في اليومِ والشَّهرِ والسَّنةِ"[4].

3–2الاقتباس والتَّضمِين:

حرصُوا الأندلُسيُّون على الاقتباس من القرآنِ الكريمِ والحديثِ الشَّريفِ، ونجدُ أيضاً في رسائِلهُم الأخبارُ والأمثالِ والحكمِ، وهذا يدلُّ على سِعةِ ثقافَتِهم وأغلبِهم كانُوا منَ الفُقهاءِ والعلماءِ.

"وكانَ اقتباسِهم منَ القرآنِ والحديثِ على وجهينِ: أوَّلهُما إيراد الآيات والأحاديثِ الشَّريفةِ بصيغَتِها ولفظِهَا، وثانيهِما: إيرادُها دُون النَّص عليها بصيغتِها، وكما ضمَّنُوا الاقتباس في رسائلِهم ضمَّنُوا

[1] فايز عبد النبي فلاح القيسي، أدب الرسائل في الأندلس، المرجع السابق، ص 315-316.
[2] المرجع نفسه، ص316.
[3] المرجع نفسه، ص 317.
[4] طاهر توات، أدب الرسائل في المغرب العربي في القرنين السابع والثامن، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، 1993م، ص111.

أيضاً الأمثال والحكمِ والأخبارِ السَّابِقة ومُصطلحاتِ النَّحوِ والعروضِ، وتكادُ تظهرُ هذهِ السِّمة في مُعظمِ موضوعاتِ أدبِ الرَّسائِل وأغراضِه"[1].

3-3الإيجاز والإطنابِ:

لمْ تكُن الرِّسالة في الأدبِ الأندلُسيّ على مُستوَى واحدٍ منْ حيثُ الإيجازِ والإطنابِ، فهيَ كانت تُراعِي موضوعها والظَّرفِ الَّذي كُتِبت فيه وعاطفةِ الْمُرسِل، وعلى الرَّغمِ من هذا فإنَّ سِمة الإيجازِ والإطنابِ واضحة وظاهرة في مُعظمِ الرَّسائِل في الأندلسِ في ق 4.

"ولعلَّ ميلَ الكُتَّاب الأندلُسيِّين إلى السُّهولةِ والوُضوحِ والابتعاد عن التَّعقيدِ، وحِرْصِهِم على التَّنويعِ بينَ الشَّعرِ والنَّثرِ، والاقتباس من القُرآنِ الكريمِ والحديثِ الشَّريفِ، وتضمينِ رسائلِهِم الأمثال والحكم، وحلّ المنظُوم، قدْ دفعهُم إلى الإسهابِ والإطنابِ؛ لأنَّ عناصر هذا التَّرصيع تتطلَّبُ التَّمهيد لَها بِما يُناسبُها منَ المعانِي المنثُورة، كما تتطلَّبُ التَّعليق المناسب عليها"[2].

3-4سهُولة الألفاظِ وجزالتِها:

كانت هذِه السِّمة غالبة في رسائِل الأندلُسيِّين، ممَّا أبعدتهُم عن التَّعقيدِ والغَرابةِ والوَحْشِيَّة الَّتي تخِلُّ بالفصاحةِ، "وممَّا تجدر الإشارة إليه أنَّ الكُتَّاب الأندلُسيِّين استعملوا منْ ألفاظِ المشارقةِ وتراكيبهِم في التَّعبيرِ عنْ موضوعاتِ أدبِ الرَّسائِل وأغراضِه، ما يُناسبُ حياتهُم وحاجاتهُم النفسيَّة والعاطفِيَّة والفِكريَّة والسِّياسيَّة وبيئتهُم الطَّبيعيَّة، فاختفت الألفاظ الوحشيَّة والغريبةِ الَّتي كان يستخدمُها الكُتَّاب المشارقة، لأنَّها لمْ تعد تُناسب المجتمع الأندلسيّ وذوقهُ الأدبيّ"[3].

II. ترجمة ابن شُهيد

على الرَّغمِ من تطوُّر ورقيّ وازدهار النَّثر في الأندلسِ، إلاَّ أنَّهُ لمْ يخرج عن صيغتهِ العامَّة؛ أيْ الاعتماد على الخيالِ والصِّناعةِ اللَّفظيَّة، ولكن مع ذلكَ الكُتَّاب والنُّقَّاد الأندلُسيِّين ابتكرُوا طرقاً

[1] ينظر، فايز عبد النبي فلاح القيسي، أدب الرسائل في الأندلس، المرجع الساق، ص 327-330.
[2] المرجع نفسه، ص333.
[3] المرجع نفسه ، ص 339.

جديدةً وجاءُوا بموضوعاتٍ وأغراضٍ جديدةٍ كالمناظرات والقصصِ والحكاياتِ الخياليَّة، وأيضاً شيوع كتابة الرَّسائِل كثيراً كالجديَّة والهزليَّة والخياليَّة، وخيرُ مثالٍ عن هذا، الشَّاعر والكاتِب والنَّاقِد "ابنُ شُهيد".

1- حيـــــاتهُ

1-1 نشـْـأتَهُ ونَسبَـــهُ

هو "أبُو عَامِر أحْمَد بنُ أبي مَرْوَان بْنُ شُهيد حفِيدُ ذِي الوِزارتَين أحمد بنُ عبدُ الملِك بنُ شُهيد وزيرُ النَّاصِر، وُلد أبو عامر سنة 382هـ"[1].

"أشْجعيٌّ من ولد الوضَّاح بن رزاح الَّذي كانَ من الضُحَّاك بن قيس يوم مرج راهِط. وكان عبد الملك أبو مروان والد أبي عامر الَّذي نُترجمُ لهُ منْ شيوخِ الوُزراءِ في الدَّولة العامريَّة، مَقرّباً عند المنصور بن أبي عامر، وقد استعملهُ المنصور والِياً على الجِّهاتِ الشَّرقيَّة. جِهات بَلَنْسِيَّة وتُدْمِيْر، فبقي هنالِك تسعةُ أعوام"[2].

و"ابنُ الأبار" كان يُسمِّيه بِالطّليقِ، "وقيلَ لهُ ذلكَ لأنَّهُ سُجِنَ في أيَّامِ المنصورِ محمَّد بنُ أبي عامِر مُدَّة طويلة ثُمَّ أُطلِقَ بعد ذلك فسُمِّيَ-الطَّليق-"[3].

ابن شُهيد من كِبار الأندلُسيِّين أدباً وعِلماً، مَولِدهُ ووفاتُهُ في قُرطبةِ وهوَ منْ أُسرةٍ مُوسرة، ذات علاقات وثيقة بالدَّولةِ والحُكَّامِ، وذاتِ اهتمامٍ بالأدبِ، وكان لديه شخصيَّة مميّزة بالذَّكاءِ والحساسيَّةِ الْمُفرطةِ.

ورثَ ابن شُهيد عنْ أجدادهِ الغرامِ بمظاهرِ الصَّبوة والفُتوَّة والشَّغف بملاعبِ الحُسنِ والجَّمالِ، وانْقادَ لشبابهِ وهواهِ وأسلمَ زمامهُ لفِطرتهِ وطبْعهِ،

[1] أحمد ضيف، بلاغة العرب في الأندلس، المرجع السابق، ص43.
[2] إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي "عصر سيادة قرطبة"، دار الثقافة، ط2، بيروت - لبنان، 1969ه، ص270.
[3] ابن الأبار، الحلة السيراء، تحقيق: حسين مؤنس، دار المعارف، ط2، القاهرة – مصر،1985م، ج1، ص 220.

"وفي شيخوختِهِ كانَ ما يزالُ قويّ الشَّهوات، مُنطلقِ النَّفسِ وراءَ لذَّاتهِ، إلاَّ أنَّهُ نسكَ في أُخرياتِ أيَّامهِ، وتوجَّه إلى الآخرةِ، وعزفَ عنِّ الدُّنيا، ثُمَّ أدركتْهُ مَنِيَّتهُ مِنْ ذَبحةٍ أصابتَهُ، وقُبَيلَ وفاتهُ كانَ "المنصور" قدْ نقلهُ مِنْ مَنيَّةِ المغيرةِ إلى مَنيَّةِ النُّعمانِ ليكونَ قريباً منهُ"[1].

"كانَ أوْحدَ النَّاس بالتَّقدمِ في علمِ الخبرِ والتَّاريخِ، واللُّغةِ والأشعارِ، وسائرِ ما يُحاضَرُ بهِ الملوكِ، مع سعةِ رِوايتهِ للحديثِ والآثارِ، وهُو مُؤلِّفُ كِتابِ – التَّاريخِ الكبِير- في الأخْبارِ على تَوالي السِّنين، بدأَ بهِ مِنْ عامِ الجَّماعةِ سنة أربعين وانْتهَى إلَى أخبارِ زمانهِ المنتظمةِ بوفاتهِ رحمهُ الله، وهُوَ أزْيَدُ من مَائةِ سفر"[2].

كانَ ابن شُهيد مُخلصاً لِتجرُبةِ الشَّاعرِ وأجادَ فِيها، بعيداً كلُّ البُعد عنْ زَخرفةِ الشَّكلِ والصَّنعةِ، وقدْ أطْنبَ ابنُ بسَّام في الثَّناءِ على نَظمهِ ونثرِهِ وأدبهِ.

"كانَ معروفاً بالدَّهاءِ وحُسنِ التَّدبيرِ، وكانَ منْ أبرعِ الشُّعراءِ، وهوَ الَّذي يقولُ:

ترىَ البدرُ مِنْهَا طالِعاً فكـأنَّما يَجُولُ وِشَاحاهَا على لُؤْلُؤٍ رَطْبِ

بعيدةُ مَهْوى القُرْطِ مُخطفة الْحَشَى ومُفْعَمَةِ الخِلْخَالِ مُقَعَّمَةُ القَلْبِ

مِنْ اللَّاءِ لَمْ يَرْحَلْنَ فَوْقَ رَوَاحِلِ ولَا سِرْنَ يَوْماً في رَكابِ ولَا رَكَبِ

وَلاَ أبْرَزَتْهُنَّ المدام لِنشْـوَةِ وشدو كَما تَشْدُو القَيان علَى الشُّرْبِ"[3].

[1] إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي، المرجع السابق، ص271.
[2] أبو القاسم ابن شكوال، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط1، تونس، 2010م، ص 451.
[3] زكي مبارك، النثر الفني في القرن الرابع، هنداوي، د-ط، القاهرة – مصر، 2012م، ص 661.

2-1 صِفاتِهِ وأخْلاقِهِ:

مِمَّا أصابَ ابن شُهيد هوَ الصَّممُ بَاكِراً، وهذا مَا زادَ عليهِ حُزنهُ وهَمَّهُ، ومِنْ جِهةٍ أُخرَى زَادتْ عزيمَتَهُ علَى كِتابةِ الشِّعرِ منْ أجلِ أنْ يكُونَ في مُقدِّمةِ ومن أوائلِ شعراءِ قُرطبةِ.

"وَمنْ فُكاهاتِ ابنُ الحنَّاط أنَّهُ حيَن سُئِلَ: كيفَ كانَ هِشام المعتدّ؟، قالَ: يكْفِي منَ الدَّلالةِ علَى اختيارِهِ أنَّهُ اسْتَكْتَبَنِي واتَّخذَ ابن شُهيد جَليساً، وكانَ ابنُ الحنَّاط أعْمَى، وابن شَهيد أصَم، ولمْ يسمعُ ابن شُهيد ما قِيلَ فسألَ أحدُ الجَّماعةِ لِيُسمِعهُ ما كانَ يُقال"[1].

وكانَ أيْضاً أطْلَسٌ،والدَّليلُ على ذلكَ قولهُ في رسالتهِ الشَّهيرةِ التَّوابِع والزَّوابِع: "علَى لِسانِ صاحبِ عبد الحميد الكاتِب: أهكذا أنْتَ يا أُطيْلِس، تركبُ لكلِّ نَهْجةٍ، وتعجُّ إليهِ عجّة؟، فقلتُ: الذِّئبُ أطلسُ وإنَّ التَّيسَ ما عَلمتَ"[2].

وهذهِ كانت أهمُّ صفاتهِ الجِسمانيَّة المعروف بها، ولكنَّهُ أيْضاً اشْتُهِر بين النَّاسِ ومعارفهِ بِعدَّةِ صِفاتٍ أُخرَى، نذكرُ منها:

- **مَيْلهُ إلى اللَّهوِ والمُجونِ:** قَدْ وصفَ الخمرَ في أبياتٍ شعريَّةٍ، يقولُ فِيها:

"رُبَّ كأْسٍ قَدْ كَسَت جنح الدُّجَى ثَوْبَ نَورٍ من سِناها أشرقَا

بِتُّ أسْقِيها رشًّا في طرفهِ سِنَةٌ تُورثُ عيني أرقا

خَفِيَتْ لِلْعينِ حَتَّى خِلتُها تتقَّى من لحظهِ ما يُتَّقَى

أشرقتُ في ناصعٍ من كفّهِ كَشُعاعِ الشَّمْسِ لاقَى الفَلَقَا

وكَأنَّ الكأْسَ في أنْمِلهِ صفرةُ النَّرجسِ تعلُو الوَرَقَا

أصبحتُ شمْسا وفُوهُ مغرباً ويدُّ السَّاقِي المحيّي مشرِقَا

[1] ينظر، إحسان عباس، تاريخ الادب الأندلسي، المرجع السابق، ص 290.
[2] المرجع نفسه، ص290.

فإذا ما غربت في فمهِ تركت في الخَدِّ منهُ شغَفـا"[1]

وقالَ فيهِ ابنُ بسَّام: "كانَ بِقرطبةِ، في رِقَّتِهِ وبراعتهِ وظرفِهِ، خلعهَا الْمُنهمك في بطالتهِ، وأعجبِ النَّاس تفاؤُتاً ما بينَ قولهِ وَفعلهِ، وأحَطَّهُم في هَوى نفسهِ، واهتكهُم لِعرضهِ، وأجرأهُم على خالقهِ. وقالَ فيهِ ابنُ حيَّان: غلبَتْ عليهِ البطالة، فلَمْ يحفلُ في آثارهَا بضياعِ دينٍ ولا مُروءةٍ، فحطَّ في هواهِ شديداً، حتَّى اسقطَ شرفهُ، ووهمَ نفسهُ راضِياً في ذلكَ بِمَا يلذهُ، فلم يقصِّرُ عن مصيبةٍ، ولا ارْتِكابِ قبيحةٍ"[2].

وَوردَ أيْضًا عندَ إحسان عبَّاس أنَّ الحجَاري قالَ في وصفهِ: "كانَ أَلْزَمُ لِلكأْسِ منْ الأطْيارِ بالأغصانِ، وأوْلعُ بهَا من خيالِ الواصلِ بالهجرانِ"[3].

- **إسرافهُ في الكرمِ**

كانَ ابن شُهيد كريمٌ وسخيّ ومشهورٌ بجُودهِ عندَ أهلَ قرطبة ويُساعدُ كلَّ منْ يحتاجُ وكلّ مُستحقّ لِأمرٍ ما أو حاجةٍ ما، فرُوِيَ أنَّهُ "رجلُ طُلَيْطِلَة قصدَ أبا عامر فألْفى لديهِ صنوف الإكرامِ، بلْ وهبهُ أبو عامر داراً في قرطبةِ ومركباً وخادِماً ونِعماً كثيرة وفُرشًا وتيرة"[4].

- **عزَّةُ النَّفس**

كثيراً مِنَ الأحيانِ ما كانَ ابن شُهيد يعتزُّ بنفسهِ ويفتخرُ بأسرتهِ ومجدِ أجدادهِ، و "كثيراً ما يتمدَّحُ نفسهُ في شعرهِ بالكرمِ فيقولُ:

والنَّفسُ نفسٌ من شُهَيْدٍ سِنْخُهَا سِنْخٌ غَذَتْ منهُ العُلاَ بِلِبَانِهَا

[1] ابن الابار، الحلة السيراء، المصدر السابق، ص 223.
[2] ابن شهيد الأندلسي: رسالة التوابع والزوابع، تح: بطرس البستاني، مكتبة صادر، بيروت، د-ط، 1951م، ص29.
[3] إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي، المرجع السابق، ص 291.
[4] إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي، المرجع السابق، ص 291.

ومصدر عجبُهُ شيئان: نسَبُهُ الشُّهيديّ الأشْجعيُّ:

من شُهَيْدٍ في سرِّها ثم من أَشْ جَعَ في السرِّ مِنْ لُبابِ اللُّبابِ

واقْتِدارِهِ على النَّثرِ والشِّعرِ، اقْتِداراً يَرى كلّ معاصريهِ وكثيراً من غيرِ معاصريهِ دُونهُ، وقَدْ قالَ لَهُ أصْحابهُ ذاتَ مرّة: إنَّكَ لآتٍ بالعجائبِ وجاذِب بذوائِبِ الغرائِب، ولكنَّك شديدُ الإعْجابِ بِمَا يأتِي منْك"[1].

- **الفُكاهة والميلِ إلى الهزلِ**

كانت رسائلُ ابن شُهيد مُفْعمة بِالكثيرِ منَ الفُكاهةِ والنَّوادرِ والهزْلِ عَكْس أشعارِهِ الَّتِي كانَ فيهَا حِدَّة في الطَّبعِ.

"وأكثر ما بَقِيَ لهُ منْ هذَا يشيرُ إلَى حِدَّةٍ في الطَّبْعِ، وحرارةٍ في الأجْوبةِ، وهجوم على التَّعريضِ الكاوِي، والألفاظِ المقذعة، وهُوَ شيءٌ تُبرزهُ رسائِلهُ لاَ أشْعارهُ، فإنَّ الفُكاهة في شعرِهِ قليلة أو معدُومة، وخُصوماتِه الأدبيَّة كثيرَة، وهيَ مَعْرَضْ لِهذهِ الحِدّة الممزُوجة بالتندُّرِ، إلاَّ أنَّهُ كان-على إعْجابِهِ وحدته- مُحَبَّباً إلى نفوسِ أصْدقائِهِ، يأْنسُون بمجلسهِ ويغترفونَ منْ كرمِهِ، ويقضونَ الوقت في دارِهِ طاعمين شاربين أو مُتنزِّهين في البساتينِ أو مُتحدِّثين في جامع قرطبة"[2].

فكُلّ من قامَ بترجمةٍ لحياةِ ابن شُهيد ذكرَ هذهِ الصِّفةِ، "فالهزلُ كانَ واضِحاً من خلالِ شعرِهِ ونثرِهِ، ورُبَّما يكونُ لحياتهِ اللاَّهيةِ دخلٌ كبيرٌ في اتِّسامِهِ بهذهِ السِّمةِ، فقدْ عاشَ ابن شُهيد لاهِياً بينَ نُدماء يَسْعونَ إلى المرحِ والسُّرورِ، ومِنَ المعروفِ أنَّ هؤُلاء النَّاس يحتاجونَ في مجالِهِم إلى النَّوادرِ والفُكاهاتِ، الَّتِي تُضْفي على تِلك المجالِس البهجة والمتعة"[3].

[1] إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي، المرجع السابق ، ص 291.
[2] المرجع نفسه ، ص 292.
[3] خضرة ناصف، التناص في رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد الأندلسي، (مذكرة ماجيستير)، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة المسيلة، د-ت، ص 9.

- **حبَّهُ لِقرطبة**

كانَ ابن شُهيد شديدُ التَّمسُّك بِمسقطِ رأسهِ وحُبِّهِ الكبيرِ لِقرطبةِ؛ "لأنَّها مَوْطِنُ ذِكرياتهِ، وقيلَ أنَّهُ لمْ يُفارِقُهَا إلاَّ مرَّة واحدةً وعادَ إليْهَا، وحتَّى بعدَ الفِتنة والدَّمارِ، وبعدَ أنْ صارت خراباً ظلَّ أبو عامر مُتمسِّكًا بِحبِّهِ لهَا، ويُسمِّيها العجوزُ البَخْراءُ (ذاتُ رائحةٍ نَتِنَة)، ويقولُ في هذا:

عجوزٌ لِعُمْرِ الصِّبا فانيةٌ لهَا في الحَشَا صورة الغانِيَة

رَنَتْ بِالرِّجالِ على سِنِّها فيَا حبَّذا هيَ منْ زانيه

تُريكَ العقول على ضِعفهَا تُدارُ كمَا دارت السَّانِيه "[1]

- **حصافةُ الرَّأي**

كانَ أبو عامر معروفٌ بِصدقِ آراءهِ وصدقِ نصاحتهِ لِمنْ يَسْتشيرَهُ، "يقولُ ابن حيَّان: وكانَ معَ ذلكَ منْ أصحِّ النَّاسِ رَأْياً لِمنْ اسْتشارهُ، وأضلَّهُم عنهُ في ذاتهِ، وأشدَّهُم جِنايةٌ على حالهِ ونِصابهِ. وهذا يدلُّ على أنَّهُ كانَ رجُلاً مرْمُوقاً يستشيرهُ النَّاسُ في أمورِهِم وشؤونَ حياتِهِم، وتَعبيُر ابن حيَّان بالضَّلالةِ في ذاتِه؛ لأنَّهُ كانَ يُعافرُ الخَمْرَ، ويُجَاهِرُ بِالْمُنكرِ"[2].

[1] فاطمة الزهراء عطية، بنية الخطاب في رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد الأندلسي، (مذكرة ماجيستير)، قسم الأدب العربي، جامعة محمد خيضر-بسكرة-، 2008-2009م، ص 8.
[2] المرجع نفسه، ص7.

1-3 وفاتهُ:

كانَ أبو عامر ابن شُهيد شديدُ الخوفِ منَ الموْتِ، وكانَ يُحِبُّ الحياةَ حُبًّا شديدًا، فدائِماً ما يدعُوا الله بِأنْ يرْفق بهِ.

"بدأَ مرضُ ابن شُهيد في مُستهَلِّ ذِي القِعدة سنة 425هـ، فقَدْ ظلَّ مريضًا سبعة أشهُر كاملة؛ لأنَّ داءُ الفالِج غلبَ عليهِ، لكنَّهُ لمْ يقضِ على حركتهِ تماماً بَلْ كانَ يستطيعُ أنْ يقضِي حاجياتهُ، ولكن في العِشرين يوْمًا الأخيرة صارَ حجرًا لا يبرح ولا يتقلَّب"[1].

وبعدَ ما عاناهُ مع مرضهِ وشِدَّة الأوجاعِ وأيْضًا عدم صبرهِ فهمَّ بِقتلِ نفسهِ، وقالَ أبيات في هذا:

"أنُوحُ على نفسِي وأندب نُبْلَها

إذا أنا في الضرَّاءِ أزْمَعْتُ قَتْلَهَا

رَضَيْتُ قضَاء الله في كلِّ حالة

عليَّ واحكامًا تَيَقَّنْتُ عَدْلَهَا

أظلُّ قَعِيد الدَّار تَجْنُبنِي العما

على ضَعْفِ ساقٍ أوهن السَّقْمُ رجلها"[2]

فمرضهُ لمْ يُعَطِّلُ يديه عن الكتابةِ ولا فكرهِ وبلاغتهِ.

وكتبَ أيضاً العديد منَ الأشعارِ لِأصْحابهِ وأحْبابهِ يُودِّعهُم فيها لْيُخفِّف عَنْ نفسهِ، فنظَّم بعضَ الأبيات إلى جماعةٍ من إخوانهِ، يقولُ:

"هذا كتابي وكفُّ الموتِ تُزعِجُنِي عن الحياةِ وفي قلبي لَكُم ذكرُ

[1] إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي، المرجع السابق، ص 287.
[2] ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، المصدر السابق، ص 25.

إنْ أقْضِكُمْ حقَّكُمْ من قِلَّةِ عُمرِي إنِّي إلى الله لاحقٌ ولا عُمرُ"[1]

وقدْ جعلهُ مرضهُ يندمُ ويتحسَّرُ على ما عاشهُ في حياتهِ، وعندما تأكَّد أنَّ الموتَ قريبةٌ لا محالة فزهدَ ولامَ نفسهُ، قالَ:

"تأمَّلتُ ما أفْنَيْتُ من طول مُدَّتي فلم أرَهُ إلاَّ كلمحةِ ناظِرِ

وحَصَّلْتُ ما أدركتُ من طول لذَّتي فَلَمْ أُلْفِهِ إلاَّ كَصفْقَةِ خاسِرِ

وما أنا إلاَّ رَهْنُ ما قَدَّمَتْ يدي إذا غادَرُوني بين أهْلِ المقابرِ"[2]

وقالَ أيضاً مُودِّعاً أصدقاءهُ:

"أسْتَوْدِعُ اللهَ إخواني وعِشْرَتَهُم وكُلَّ حِزْقٍ إلى العَلْيَاءِ سَبَّاقِ

وفِتْيَةً كنجومِ القَذْفِ نَيْرُهُم يهدي، وصائِبُهُم يُودِي بإحراقِ"[3]

وقبلَ أنْ يتوفَّ وصَّى بِبعضِ الوصايا فيها مَنْ نُفِّذَتْ وفيها مَنْ لمْ تُنَفَّذْ، وهاتهِ الوصايا هِيَ:

- " أنْ يُصلِّي عَليهِ الرَّجلُ الصَّالِح أبو عامر الحصار (فتغيَّبَ إذْ دَعِي وصلَّى عليهِ جَهْوَر بن جهور أبو الحزم صاحب قُرطبة حِينئذ)
- أنْ يُسنّ التَّراب عليهِ دَونَ لبن أو خشبٍ (فلَمْ يُنفَّذْ هذا أيضاً)
- أنْ يُدْفن بِجنبِ صديقهِ أبي الوليدِ الزجالي
- أنْ تُكتب هذهِ الكلماتِ على قبرهِ: بسمِ اللهِ الرَّحمانِ الرَّحيمِ –قُلْ هُوَ نبأٌ عظيمٌ أنتمْ عنهُ مُعرِضون–. هذاَ قبرُ أحمد بن عبد الملك بن شُهيد الْمُذنِب، ماتَ وهُوَ يَشهدُ أنَّ لاَ إلَه إلاَّ الله

[1] إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي، المرجع السابق، ص 288.
[2] المرجع نفسه، ص 288.
[3] المرجع نفسه، ص 288.

وحدهُ لا شريكَ لهُ، وأنَّ مُحمَّداً عبدهُ ورسولهُ، وأنَّ الجنَّةَ حَقٌّ وأنَّ النَّارَ حَقٌّ وأنَّ البعثَ حَقٌّ وأنَّ السَّاعةَ حَقٌّ آتيةٌ لا ريبَ فيها وأنَّ اللهَ يبعثُ مَنْ في القبورِ (ثُمَّ تاريخ الوفاة بالشَّهرِ والسَّنةِ)"[1]

ويجبُ أن يُكتبَ تحت ذلكَ النَّثر هذا النَّظمُ الَّذي خاطبَ بهِ صديقهِ المتوفِّي:

"يا صاحبي قُمْ فقدْ أطلْنَـا أنحنُ طول المدى هجودُ!

فقـالَ لي: لنْ نقوم منـها ما دامَ مِنْ فوقِنَا الصَّعيدُ

تَذْكُرُ كَمْ ليلةٍ لَهَوْنَا في ظِلِّهَا، والزَّمانُ عيدُ؟

وكَـمْ سُرورٌ هُمِّي عَلَيْنَا سحابةً ثَرَّة تجـودُ؟

كلٌّ، كأنَّ لمْ يكنْ، تَقضَّى وشُؤْمُهُ حاضِرٌ عنيـدُ

حصَّلـهُ كاتبٌ حفيظٌ، وصمَّهُ صادِقٌ شُهَيْـدُ

يـا وَيْلَتَـا إنْ تَنَكَّبَتْنَا رحْمَةُ مِنْ بَطْشِهِ شَدِيدُ

يا رَبُّ عَفْوًا، فأنتَ مَوْلًى قصَّر في أمرِكَ العَبِيـدُ"[2]

وقدْ توفَّاهُ الله "يومُ الجمعة آخر يوم مْن جُمادى الأوَّل مِن سنةِ ستّ وعشرين وأربعُ مائة، وهي السَّنة الَّتي قتل بها المعتلي، وكان في الرابعةِ والأربعين من عمره. قالَ ابن بسّام: ولمْ يشهدُ على قبرِ أحدٍ ما شُهد على قبرِهِ، منَ البكاءِ والعويلِ، واشتدَّ على قبرِهِ من المراثي جملةً مَوْفُورةً لطوائفٍ كثيرةٍ"[3] .

[1] احسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي، المرجع السابق، ص 289.
[2] ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، المصدر السابق، ص 25-26.
[3] المصدر نفسه، ص 26.

2- معَ مُعاصريهِ:

2-1 أصحابَهُ:

لابن شُهيد العديدِ منَ الأصحابِ والأحبابِ، منهُم الأمراء، ومنهم الوزراء، ومنهم الأدباء. "جمعتهم قصور قُرطبة ودواوينها، ومجالس سياستها وأُنسها، وأيَّام نعيمها وبُؤسِها، فكان أبو عامر نقطة الدَّائرة الأدبيَّة في عصرهِ. وأصحابهِ الوزراء كُثر، وفيهم طائفةٌ من الأدباءِ يمدِحونهُ ويمدحهم، أمثال الوزير الكاتِب أبي الْمُغيرة عبد الوهاب بن حزم، فمِن قول أبي عامر فيه:

وأنتَ ابن حَزم مُنعشٌ من عِثارِهَا

إذا ما شرِقْنَا بالجدودِ العواثر"[1]

وكتبَ إليهِ في عِلَّتهِ، يقولُ:

"فَمَنْ مبلغٌ عنِّي ابنَ حزم، وكانَ لي يداً في مُلمَّاتي وعند مضايقي:

عليكَ سلامُ الله، إنِّ ي مفارقٌ وحَسْبُك زاداً من حبيبٍ مُفارِقاً

فلا تنسَ تَأْبِيني، إذا ما فقدتني، وتذكارَ أيَّامِي، وفضل خلائِقي"[2]

"وكانَ صديقهُ الوزير أبي مروان بن الجزيري يُساجلهُ في القريضِ مُعترِفاً بِفضلهِ مع أنَّهُ كانَ يومئذ في نحوِ الثَّانيةِ عشرة من عمرهِ، لأنَّ الْمُظفّر عقدَ لهُ على الشُّرطةِ وهُوَ دُونَ العاشرةِ، وكانَ أبو مروان منْ وزراءِ الدَّولةِ. ثُمَّ غضبَ المظفَّر على الجزيري، فسجنهُ في المطبَقِ وماتَ فيهِ مخنُوقاً سنة 394هـ-1003م وابن شُهيد في الثَّانيةِ عشرةَ. فمُساجلةِ أبي مروان لهُ في الشِّعرِ، وهوَ صبيّ، تدلُّ على نبوغهِ الْمُبكِّرِ، فقدْ كتبَ إليهِ مرَّة يسألهُ عن الوردِ:

[1] ينظر، ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع الزوابع،المصدر السابق، ص 31-33.
[2] المصدر نفسه، ص 33.

قُلْ للوزيرِ الَّذي بانت فضائِلهُ، وقامَ فينا مَقامَ الغيثِ نائِلُهُ:

أواخِرُ الورد، إذْ تَجْنِيه مُلْتقِطـًا، أزكى وأعطرُ نشراً، أم أوائِلُه؟"[1]

فأجابهُ ابن شُهيد:

يا سيِّدًا، أرِجَتْ طيِّبًا شمائِلُهُ، وشاكهَتْ شِعرَه حُسناً رسائِلُهُ

الوردُ عهدًا ونشراً صنُو عهدك، لا تُنسي أواخِرهُ طيباً أوائلــهُ"[2]

"ومنْ أصدقائهِ الخُلْص أبو جعفر ابن اللَّمائي أحدُ أئِمَّة الكُتَّابِ في وقتهِ، وقَدْ شقَّ على ابن شُهيد موتهِ لأنَّهُ نُعيَ لهُ وابن شُهيد طريح الفراش، فكانَ في فقدهِ، على أنَّهُ صديق عزيز، إنذار لابن شُهيد بِسطوةِ الموتِ، فرثاهُ بقصيدةٍ حزينةٍ مطلعُها:

أمنْ جَنابَِهِمُ النَّفْـحُ الجَنُيُّ أسرى فصاك بهِ في الغُورِ غاريُّ

ورثَى ابن شُهيد أيْضاً حسَّان بنُ مالك بن أبي عبدة الوزير، في قصيدةٍ مطلعُهَا:

أَفِي كلِّ عامٍ مَصْرعٌ لعظيمِ؟ أصابَ المناياَ حَادِثي وقَدِيمِي! "[3]

ورثَى منَ القُضاةِ صَفِيَّهُ أبا حاتم بن ذكوان صاحب المظالم في زمنِ المظفّر وكانَ قُسيم نفسهِ، ونسيمَ أنسهِ، "كما يقولُ الفتح في مطمحِ الأنفُسِ، فقالَ:

يَسيرُ به النَّعشُ الأغرُّ وحولهِ أباعِدُ راحُوا للمصابِ أقاربَا

عليه حَفِيفٌ للملائِكِ أقبلتُ تصافحُ شيْخاً ذاكِرَ الله تائِباً"[4]

[1] ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، المصدر السابق، ص 34.
[2] المصدر نفسه، ص 35.
[3] إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي، المرجع السابق، ص 284-285.
[4] ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، المصدر السابق، ص 35-36.

"ولمَّا تُوُفِّيَ رثاهُ ابن شُهيد بقصيدةٍ طويلةٍ مِنْهَا قولهُ:

إذَا لَمْ تَجدْ إلاَّ الأسى لكَ صاحِبًا فلا تَمْنعَنَّ الدَّمعَ ينْهلُ سَاكِباً

هَوَتْ بأبِي العَبَّاسِ شمسٌ من التُّقَى وأَمْسَى شِهَابُ الحَقُّ في الغربِ غَارِباً

ظَنَنَّا الَّذي نَادَى مُحِقًّا بمَوْبَهِ لِعُظْمِ الَّذي أنْحَى مِنَ الرُّزْءِ، كَاذِبَا"[1]

2-2 خُصومهُ:

احْتلَّ ابن شُهيد الأندلُسيّ منزلةً أدبيَّةً رفيعة في عصرهِ، مِثْلمَا كانَ لهُ جمْعٌ مِنَ المعجبين كانَ لهُ خصومٌ، "فتنكَّرَ لهُ جماعةٌ منْ أبْناءِ طبَقتِهِ وأهلِ حِرْفتهِ وحَسَدُوهُ على نعمةٍ منَ خفيضِ العَيْشِ يتقلَّبُ فيهَا، وهِبةٌ من توقُّد الذَّهب يشتملُ عليها: نعمةُ الأرْضِ، وهِبةِ السَّماءِ فراحُوا يسْعون بهِ لدَى الملوك، وينتقِصُون شِعرَهُ وأدَبهُ وأخْلاقهُ، حتَّى حبسهُ ابن حمُّود، وأعرضَ عنهُ المستعين."[2]

"ويُذكرُ في رسالةِ التَّوابِع والزَّوابِع ثلاثةُ أشْخاص لا يملُّون منَ الطَّعنِ عليهِ، وهُمْ أبو محمد وأبو القاسم وأبو بكر"[3]

أبو محمد "هذا لمْ يُعلَّمْ من الأدباء من يُكنَّى بهذا الاسم غير أبي مُحمَّد بن حزم الَّذي كانَ صديقهُ كما ذكرنَا، وكانَ بينهُما مُداعبات ومُكاتبات -كما ذكرنا- حسْبَ الفتح ابن خاقان فمِنْ مُعاصِريهِ القَاضِي؛ تَولَّى القضاءُ في دولةِ المهْدِي وقتلهُ البَرْبَرْ يَوْمَ استيلاء المستعين علَى قرطبةِ، سنةَ أربعُمائة للهجرةِ، فيكونُ قدْ أدْركَ خِلافَة المستعين الأُولى"[4]

[1] فاطمة الزهراء عطية، "بنية الخطاب في رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد الأندلسي، المرجع السابق، ص 15.
[2] ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، المصدر السابق، ص 37-38.
[3] المصدر نفسه، ص 38.
[4] فاطمة الزهراء عطية، بنية الخطاب في رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد الأندلسي، المرجع السابق، ص 16.

"وهُوَ رجلٌ ذُو حظٍّ منَ الشِّعرِ والأدبِ، ولكنْ لمْ تُعرفْ لهُ علاقةُ صداقة أو خُصومة بِ أبي عامر بن شُهيد فَبِالأُولى أنْ يكونُ المقصودُ أبا محمد بن حزم لِسلاطَةِ لِسانِهِ، وقَدْ يحدثُ أمثالَ هذهِ الهناتِ بيْنَ الأُدباءِ إنْ كانُوا أصدقاء"[1]

وليسَ في التَّعريفِ **بأبي القاسم** مجالاً للاجتهاد والتَّخْمينِ، كما هيَ الحالِ في أبي مُحمَّد، فقدْ صرحَّ ابن شُهيد باسمه في رسالتهِ إذْ قالَ: "وأمَّا أبُو القاسم الإفليلي، فمَكانهُ منْ نفسِي مكين، وحُبَّهُ بِفُؤادِي دخيلُ؛ على أنَّهُ حامِل عليّ، ومُنتسبُ إليّ"[2]

"وأبُو القاسم هذا من أئِمَّةِ النَّحْوِ واللُّغةِ بالأنْدلُسِ، كثيرُ الحسَدِ والغُرورِ، يُجادِلُ على الخطأ ويتشَبَّثُ بهِ مُعانِدًا، وخَصَّهُ أبو عامر بِمكانٍ مِنْ رِسالَتِهِ في عالَمِ الجِنِّ، لِيَنتقِدَهُ ويَنتقمُ مِنْهُ، فأقامَ لهُ تابِعاً سَمَّاهُ أنْفَ النَّاقةِ، وأخذَ يُناظرهُ ويُسمِعهُ منْ كلامهِ حتَّى أخزَاهُ، فقالَ: وعِلَّتُ أنْفَ النَّاقةِ كآبة، وظهرت عليه مهابة، واختلطَ كلامهُ، وبدا مِنهُ ساعتئذ بوادِ في خِطابهِ رحمه لها من حضر، وأشفق عليهِ من أجلها من نظرِ"[3]

وأمَّا **أبو بكر** فشأنهُ شأنَ أبي محمَّد في الالْتِباسِ والغُموضِ، "فقدْ يكونُ أبا بكر بن حزم، ولا نعرفُ عنْهُ شيئًا سِوَى أنَّ أباَ عامر صدر رسالة التَّوابِع والزَّوابِع بِمخاطبتهِ، وذكرَ أنَّهُ حينَ سمِعَ كلامهُ تعجَّبَ وقالَ: كيْفَ أُوتِيَ الحُكْمَ صَبِياً، وهَزَّ بِجذعِ النَّخْلةِ فاسقطَ عليهِ رَطْباً جنيًّا؟ !، وقدْ يكونُ أبا بكر عبادة بن ماء السّماء، وهُوَ مِنْ مشاهيرِ شُعراءِ قُرطبةِ ووِشاحيها، لحقّ الدَّولة العامريَّة والدَّولة الحمودية، ويقولُ ابن شُهيد أنَّهُ تُوفِّي بمالقةِ سنة 419هـ. وقدْ يكونُ الكاتِب أبا بكر المعروف بأشْكِميْاطِ، وهُوَ منْ الَّذِينَ نقدُوا أبا عامر وعابُوهُ باستِباحةِ كُنوزِ غيرهِ"[4].

نَستخلِصُ مِنْ خلالِ ما سبقَ أنَّ ابن شُهيد الأندلُسيّ جَمَعتْهُ بأعلامِ المدينةِ وحُكَّامِها صداقات وعداوات، ومن أبرزِ صداقتهِ بابن حزم الأندلسيّ الظهري، أمَّا خصومهُ وحُسادِهِ كثيرونَ فقدَ كدَّرُوا صَفْوَ حياتهِ واستغلُّوا جانبَ منْ أدبهِ سواءَ شعراً أو نثْراً.

[1] فاطمة الزهراء عطية، بنية الخطاب في رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد الأندلسي، المرجع السابق، ، ص 17.
[2] ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، المصدر السابق، ص 39.
[3] المصدر نفسه، ص 39.
[4] المصدر نفسه، ص 40.

3- أدبـــهُ:

3-1 كـــاتِبًا:

يُعدُّ ابن شُهيد مِنْ كِبارِ كُتَّابِ الأندلسِ، خلَّفَ مُؤلَّفاتٍ نثريَّةٍ كثيرةٍ تَنَاولت الموضوعات، ولَكنْ لمْ تصلُنَا كاملة، بَلْ وصلَنا البَعضُ مِنْها، ومِنْ أشهرِ ما خلَّفَ أبُو عامر "رسائِل تناولَ فيهَا أغراضاً شتَّى، مِنْها رِسالتهُ في الحَلْواءِ، حيثُ ذهبَ مَذْهبَ الهمذاني في مقامتِهِ المضيريَّة، ورسالتهِ في وصفِ البردِ والنَّارِ والحطبِ، ورسالتهِ المدعُوَّة -حانُوت عطَّار- وأشهرَ رَسائِلهِ على الإطلاقِ رِسالَتهِ الْمُسمَّاة بالتَّوابِع والزَّوابِع؛ وهي شبيهةٌ برسالةِ الغُفرانِ لأبي العلاء المعرِّي"[1]

عُرِف ابن شُهيد بنثرِهِ الكثير، لهُ عددٌ منَ التَّصانيفِ تطرَّقَ فيها لِشتَّى الموضوعات المختلفة مُظهِراً قُدرَتِهِ فيهَا، ومِنْ آثارِهِ النثريَّة كِتاب كَشْفِ الدّك وإيضاحِ الشّك، ورسالتهِ المسمَّاة الحلواءِ، ورسالة حانُوت عطَّار، ومنْ بيْنِ أعمالهِ الأدبيَّة الأكثرِ شُهرةٍ: رِسالة التَّوابِع والزَّوابِع.

قالَ ابن حيَّان: "ولهُ رسائِل كثيرة في فُنونِ الفُكاهةِ وأنْواعِ التَّعريضِ والأهْزالِ: قِصار وطِوال، برزَ فيهَا شأوهُ وأبْقاهَا في النَّاسِ خالدةٍ بعدهُ، وكانَ في سُرعةِ البديهةِ وحُضورِ الجَّوابِ وِحدتهِ، مع رِقَّةِ حواشِي كلامهِ وسُهولةِ ألْفاظِهِ وبراعةِ أوْصافِه، ونزاهةِ شمائِلهِ وخلائِقهِ آيةٍ مِنْ آياتِ اللهِ خالِقهِ"[2]

فالواضحِ مِنْ هذا القول، أنَّ مُعظمَ رسائِل أبُو عامر تفيضُ بِروحِ الفُكاهةِ، فقدْ امتازت بأساليبِها البارِعة وألفاظِها السَّهلة، وبموضوعاتِها الشَّائِقة ونُدْرتِها في النَّثرِ العربيّ.

تحتلُّ رسائل ابن شُهيد " قيمةً كُبرى سواءَ أكانَ ذلِكَ مِنْ النَّاحيةِ العلميَّةِ أمْ من النَّاحيةِ الأدبيَّةِ، فهِيَ تُطلِعنَا على نفسِ الرَّجلِ وسِعةِ مَداركِهِ وعُمْقِ تَفكيرِهِ؛ وهيَ صِفاتٍ تُنيرُ حياتهُ وتُوضِّحُ لنَا معالمهَا وتُفسِّرُ لنَا كثِيراً مِنْ غواميضِهَا"[3].

[1] حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، المطبعة البوليسية، ط2- 1954م، ص 840.
[2] حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي -الأدب القديم-، دار الجيل، بيروت-لبنان، ط1، 1986م، ص 910-911.
[3] حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، المرجع السابق، ص 911.

وبِناءً على ما تقدَّمَ يُمكنُ القولُ أنَّ نثرَ ابن شُهيد لمْ يصلُنَا كامِلاً، وذلكَ راجعٌ لعصرهِ الْمُضطرِب، فالَّذين دَوَّنُوا تاريخ الأدب الأندلسيّ دوَّنُوا لنَا الجانبَ البرَّاق منهُ، وقدْ عالجتْ رسائِلهُ مجموعة من القضاياَ المختلفة كالاجتماعية والتاريخيَّة والأدبيَّة ... وغيرها. وانفردَ النِّتاج الأدبِي لأبو عامر في نوعِ الكتابةِ؛ لأنَّ الأسلوب القصصيّ غلبَ عليهِ، وهذا ما جعلَ ابن شُهيد نادرُ المثال.

2-3 شــاعِراً:

ترَعْرعَ أبو عامر في بيتٍ من بيوتِ الشِّعرِ في الأندلسِ، "فأبُوهُ عبد الملك شاعِراً وكذلكَ جدَّهُ مروان، وجدَّ أبيهِ أحمد بن عبد الملك، ثُمَّ عمُّهُ وأخوهُ شاعران وهو أجْودَهُم شاعريَّة وأخصبَهُم قريحة، وأطْوَلهُم نفساً وأوْسعهُم شُهرة"[1].

أبو عامر ابن شُهيد مِنْ شعراءِ العصرِ الأندلسيِّ، ينحدرُ منْ أسرةٍ قُرْطُبيَّةٍ مرمُوقةٍ شاعرةٍ أباً عن جد، فقدْ نالَ قِسَطاً وافِراً منْ معارفِ زمانهِ وبرعَ في مجالِ الشِّعرِ ونظْمِهِ.

يُعدُّ ابن شُهيد الأندلسيّ " مِنْ أُولئكَ الَّذين صَفَت طبائِعَهُم، ورَقَّ شُعُورَهُم وأُوتُوا مِنْ قُوَّةِ الخيالِ واتِّساعِهِ، ومِنْ غِنَى القلبِ وانْطِلاقِ القريحةِ، وما جعلهُم شُعراء بالطَّبْعِ يَأْتِيَهُم الكَلامُ مُتدفِّقاً، ويجري قلمهُم بِكلِّ عذبٍ ورقيقٍ مِنَ القولِ، ولكنَّهُ مِنْ أُولئِكَ الَّذينَ غابت عنَهُم قُوَّة الإبداع، فكانَ شديدُ التَّقليد في شعرهِ لأساليبِ الأقْدمِين، شديدُ الاعتماد على معانيهِم وألفاظِهِم، شديدُ التَّلفُّت نحْوَ شعراءِ بَنِي العبَّاس"[2].

تفوَّقَ ابن شُهيد في شعرهِ، فقَدْ تطرَّقَ لِكُلِّ الأغراضِ كالمدحِ والهِجاءِ والرِّثاءِ والغَزلِ والخمريات....وغيرها، وامْتازَ شِعرهُ بالرِّقةِ والخيالِ الواسعِ، إلاَّ أنَّهُ ما عابَ عليهِ أنَّهُ كانَ مُقلِّداً، فقَدْ انْتهجَ أساليبَ القُدماءِ في المعاني والألْفاظِ وكُثرةِ المعارضةِ للقصائدِ المشهُورةِ.

[1] ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، المصدر السابق، ص 50.
[2] حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، المرجع السابق، ص 913-914.

"تطرَّقَ ابن شُهيد لشتَّى الموضُوعات الشِّعريَّة، فقَدْ نظَّمَ في بابِ الرِّثاءِ قصيدةً رائيَّةً يرثُو فِيهَا قُرطبة، قائِلاً:

مَا في الطُّلولِ مِنَ الأحِبَّةِ مُخْبِرُ فَمَن الَّذِي عن حالِها نَسْتَخْبِرُ؟

لا تَسأَلَنَّ سِوى الفَراقِ فإنَّهُ يُنْبِيكَ عنهم أَنْجُدُوا أم أَغْوَرُوا

جارَ الزَّمانُ علَيْهِمُ فَتَفَرَّقُوا في كُلِّ ناحِيّةٍ وبادَ الأَكْثرُ

جَرَتِ الخُطُوبُ على محلِّ دِيارِهِم وعلَيْهِمُ فَتَغَيَّرَتْ وتَغَيَّرُوا

فدعَ الزَّمانَ يصوغُ في عرصاتِهِم نُوراً تكادُ له القُلُوبُ تُنَوِّرُ

فلِمثْلِ قُرْطُبَةٍ يقلُّ بُكاءُ مَن يَبْكِي بعَيْنٍ دَمْعُها متَفَجِّرُ

في كُلِّ ناحِيَةٍ فَرِيقٌ منهمُ مُتَفَطِّرٌ لفَراقِها مُتَحِيِّرُ"[1]

"أمَّا في بابِ المدحِ نظَّم ابن شُهيد قصيدة يمدحُ فيها يحي المعتلي بالله بن حمود، يقولُ:

وما فِيَّ إلاَّ الشِّعْر أَثْبَتَهُ الهَوى فسارَ به في العالَمِين فَرِيدُ

أَفُوهُ بما لم آتِهِ مُتَعَرِّضًا لحُسْنِ المعانِي تَارةً فأَزِيدُ

فإنْ طال ذِكْرِي بالْمُجُونِ فإنَّهَا شَقِيٌّ بِمَنْظُومِ الكَلامِ سعِيدُ

وهَلْ كُنْتُ في العُشَّاقِ أَوَّل عاشِقٍ هَوتْ بحِجاهُ أَعْيُنٌ وخُدُودُ؟

وإنْ طَال ذِكْرِي بالْمُجُونِ فإنَّهَا عظَائِمُ لم يصْبِرْ لهُنَّ جلِيدُ"[2]

"في بابِ الهجاءِ نظَّمَ قصيدة يهجُو فيهَا الوزير أبي جعفر، قالَ فِيها:

[1] ابن شهيد الأندلسي -ديوان-، جمعه وحققه: يعقوب زكي، راجعه: د-محمود عل مكي، دار الكاتب العربي، القاهرة، د-ط، 385-456ه، ص 109.
[2] المصدر نفسه، ص 100.

أبُو جَعْفَرٍ رَجُلٌ كاتِبٌ مَلِيحُ شَبا الخَطِّ حُلْوُ الخَطَابَهْ

تَمَلَّأَ شَحْمًا ولَحْمًا وما يَلِيقُ تَمَلُّؤُهُ بالكِتابَهْ

وذُو عَرَقٍ لَيْسَ ماءَ الحَياءِ ولَكِنَّهُ رَشْحُ فَضْلِ الجَنابَهْ

جَرَى الماءُ في سُفْلِهِ جَرْيَ لِينٍ فأَحْدَثَ في العُلْو منه صَلابَهْ" [1]

"كمَا عُرِفَ بِكثرةِ المعارضِ للقصائدِ المشهورةِ فنجدهُ يُعارضُ عمر بن أبي ربيعة في رائيتهِ، الَّتي يقولُ فيها:

آمِنْ آلِ نُعمِ غَادٍ فَمُبكرُ غَداةٍ غَدٍ أم رائحٌ فَمُهْجَّرُ"[2]

"فيقولُ ابن شُهيد:

شَجَته مُغَانٍ مِنْ سُلَيْمَى وأدؤُرُ"[3]

يُعدُّ شِعر "ابن شُهيد رشيق، يجنِّحهُ خيال واسع، ولكنَّ التَّفكير فيهِ ضعيفٌ؛ لأنَّ صاحبهُ كانَ هزِلاً لاهِياً ينقصهُ الجِدُّ والرَّصانة، وأسلوبهُ سلِس العِبارة جذَّاب لِمَا فيهِ مِنْ الدُّعابةِ والرِّقةِ في موضوعاتِ اللَّهْوِ، وأكثر لهْوِهِ مقبول، خالٍ من الفحش والهجر"[4]

نستخلصُ أنَّ أبو عامر أحدُ أبرزِ شُعراءِ قُرطبة، فَقَدْ كانَ أكثرُهُم تَوقُّداً في القريحةِ الشِّعريَّةِ حيْثُ أبْدَعَ في الكثيرِ منَ القصائدِ الشِّعريَّة، ولمْ يكن شِعرهُ مُقتصرٌ على غرضٍ مُعيَّنٍ حيثُ أظْهرَ قدرتهُ وبراعتهُ في هذا المجال.

[1] ابن شهيد الأندلسي -ديوان-، المصدر السابق، ص 95.
[2] عمر بن أبي ربيعة -الديوان-، دار الجيل، لبنان-بيروت، ط1، 1992م، ص 193.
[3] ابن شهيد الأندلسي، الديوان، المصدر السابق، ص 107.
[4] حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، المرجع السابق، ص 840.

3-3 نـــاقِداً:

أبُو عامر عَلمٌ مِنْ أعلامِ النَّقدِ في الأندلسِ، " لهُ أراء تدلُّ على فكرِهِ الثَّاقبِ وعِلْمهِ الواسعِ في طرقِ النَّقدِ الأدبي، وكأنَّها مَبْنيَّة على نظرٍ عميقٍ أو دِراسَةٍ فنيَّةٍ أو عِلمِيَّة، وفي رَأْيِنَا أنَّ آراءهُ في النَّقدِ أكبرُ ميزةٍ مِنْ شِعرِهِ ونَثرِهِ، لِأنَّها تَدلُّ على سِعةِ اطِّلاعِهِ وابْتكارِهِ الخالِصِ مِنْ كُلِّ تقليدٍ فَقدْ انْفردَ بَيْنَ نُقَّادِ الأدب العربي في ذلك"[1]

مِنْ خِلالِ ما سبقَ تبيَّن لنَا، أنَّ أبو عامر تميَّزَ بمَلكَةِ النَّقدِ، كمَا تَمَيَّزَ فِيهَا في الشِّعرِ والنَّثرِ ونجدهُ ميَّال لِلنَّقدِ الجريء، ولهُ جُملة مِنَ الآراءِ نذكُرها فيما يلي:

" 1- الشِّعرُ ليسَ بِاللَّفظِ وحدَهُ ولكنَّهُ باللَّفظِ والمعْنَى الكريمِ، والشَّاعرُ الشَّاعرُ هُوَ مَنْ يقْتحِمُ بحورِ البيانِ، وينطقُ بالفصلِ، ويطلبُ الأشياء النَّادرة والسَّائرة ، ويُنظِّمُ مِنَ الحكمةِ ما يبْقَى بعْدَ مَوْتهِ مُتصرِّفاً في كلِّ غرضٍ وكلِّ فنٍّ تصرف من يحسن التلوّن، ويعرفُ أساليب الكلامِ ووجوه المعاني فعلَى النَّاقد إذن أنْ لاَ يخدعهُ ظاهرَ كلامِ الشِّعرِ، ولا تغرُّهُ الدِّيباجة اللمَّاعة والألفاظِ المنمَّقةِ، بَلْ ينظرُ في نقدهِ إلى الظَّاهرِ والبَاطنِ فيجعلُ لِكُلِّ شيْءٍ ميزاناً ، ويقيمُ لكُلِّ ناحية قِسْطاساً من غير اضطراب ولا غُرورٍ"[2].

" 2- وَمِنْ آراء ابن شُهيد أنَّ لِلحُروفِ أنْساباً وقرابات تبدُوا في تركيبِ الألْفاظِ فإذَا جاورَ القريبُ قريبهُ ثُمَّ الائتلاف، وحَسُنت صُور الكلام، وليْسَ مِنَ العيبِ في نظرِهِ أنْ يعمدَ الكاتِب أو الشَّاعر إلى ألفاظٍ غريبَةٍ أو غيرِ مأْنُوسة، وإنَّما العيبُ كلّ العيب في أنْ يستعْمِلَها في غيرِ محلِّها، أوْ في أنْ تكونَ مُتنافرةُ الحروفِ أو غيرِ مُؤْتلفة فيمَا بينها أو غير دالَّة دلالة واضِحة على المعنى الَّذِي جُعِلت في خدمتهِ"[3].

[1] أحمد ضيف، بلاغة العرب في الأندلس، المرجع السابق، ص 54.
[2] حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، المرجع السابق، ص 912.
[3] المرجع نفسه، ص 912.

" 3_ يرى أنَّ البلاغةَ قائِمةٌ في مُراعاةِ مُقْتضى الحال وأنَّهُ لا بُدَّ لِلكاتِبِ مِنْ تفهُّم نَفْسِيَّات مَنْ يُوجِّهُ إليهم كلامَهُ إذا شاءَ التَّأثير ورَمى إلى السَّيطرةِ الأدبيَّةِ وإلاَّ كانَ كلامهُ هباءً وأقوالهُ بعيدةً عن العُقولِ والقلوبِ"[1].

"4_ وَهُوَ يرَى أنَّ أسلوبَ الكتابةُ يختلفُ باختلافِ العُصورِ والشُّعوبِ، وقَدْ قالَ في ذلكَ الكلُّ عصر بيان ولِكُلِّ دهر كلام ولكُلِّ طائفة منَ الأُمَمِ المتعاقِبَةِ نوعٌ منَ الخطابةِ وضربٌ منَ البلاغةِ لا يُوافِقُها غيرهُ، ولا تهشُّ لسواهِ، وكما أنَّ للدُّنيا ولا فكذلك للكلامِ نقلٌ وتغايرٌ في العادةِ"[2].

" 5_ يرى في النَّثرِ العربي ثلاثُ مدارس: مدرسةُ عبد الحميد وابن المقفّع ومدرسة إبراهيم بن عبَّاس ومُحمَّد الزيَّات، ومدرسة بديع الزمان الهمذاني، وهُوَ يرى أنَّ لِتطوُّرِ النَّثرِ صِلةٌ وثيقَةٌ بِتطوُّرِ المدينةِ"[3].
" 6_ ويُخلص أبو عامر إلى أنَّ البيان قَدْ يعلمُ، ولكن ليسَ الذَّي تقومُ بتعليمهِ طبقة مُعلِّمِي اللُّغة لأنَّهم في رأيهِ يرجعون إلى فطنِ حمئة وأذهانِ صدئة لا مَنفذ لها في شعارِ الرِّقةِ ولا مدبَّ لها في أنْوارِ البيانِ"[4].
" 7_ وقَدْ عرضَ ابن شُهيد في نقدهِ، لِنُحاةِ قُرطبةِ الَّذِين قادهُم الغرور إلى اصْطِناعِ البيانِ والتعرُّض لأهلهِ فكواهُم بلاذعِ كلامِهِ، وشبَّهَهُم بالقرودِ اليمانِيَّةِ الَّتي تَرْقُصُ على الإيقاعِ ولا تُدرِكُ مِنْ أسرارِ الفنِّ شيْئاً، وعرضَ كذلك لِلجاحِظِ فرأَى أنَّ كتابهُ في البيانِ بعيدٌ عنْ أنْ يكونَ طرِيقاً سهْلاً على البلاغةِ، ورأَى الجاحظُ أغْبَنَ النَّاس لِنفسهِ لأنَّهُ وهُوَ واحدُ البلاغةِ في عصرهِ، لمْ يلتمِسُ شرفَ المنزلةِ بِشرفِ الصَّنْعةِ"[5].
" 8_ ثُمَّ إنَّهُ يقسمُ أهلَ الصَّنعةِ الكلامَ إلى ثلاثِ طبقاتٍ: فَمِنهُم القَرِيبُو المرامِي الَّذين يجيدُونَ التألُّف ولا يُحسِنون الغَوْصَ في الأعْماقِ، فيكنون لزم من الأزمانِ حتَّى إذا تبدَّلت الأحوال واتَّسعت الآفاق تلاشوا كالدُّخانِ واضْمحلُّو اضْمِحلالاً، ومِنْهُم الكارِعُون في بحرِ الغزارةِ المندفِعون اندفاع السَّيلِ"[6].
"أولئِكَ الَّذين تزدحمُ لديهم المعاني ازْدِحاماً فلا يشكُّون فشلاً ولا تخطئُ لديهم سِهام، ولا يكونُ لهم على الدَّهرِ أفول وأذبول، ومنهم أخيراً المتجافون عن الكلامِ الَّذين يألفون الصَّمت والَّذين إذْ منُّو

[1] حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، المرجع السابق، ص 912.
[2] المرجع نفسه، ص 219.
[3] المرجع نفسه، ص 912.
[4] فاطمة الزهراء عطية، بنية الخطاب في رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد الأندلسي، المرجع السابق، ص 36.
[5] حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، المرجع السابق، ص 913.
[6] المرجع نفسه، ص 912.

بالقولِ، جارُو أبلغ النَّاس ومَشُو في صفوفِ أرْبابِ الصِّناعةِ ومن خرج عن هذهِ الطَّبقاتِ الثَّلاث، لمْ يستحقُّ اسم البيان، ولا يدخلُ في أهلِ صِناعةِ الكَلامِ"[1].

بِناءً على ما تَقدَّم نستخلصُ أنَّ ابن شُهيد من خيرةِ النُقَّادِ في الأندلسِ لهُ آراءً قيِّمة وجديدة في ميدانِ النَّقدِ إلاَّ أنَّهُ نقدهُ جريءٌ حافلٌ بالهزءِ الجارحِ.

[1] حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، المرجع السابق، ص 913.

الفصل الثاني:

تمظهرات الوقفة الوصفية في
رسالة التوابع و الزوابع لابن شهيد

1. زمن القصة

2. زمن السرد

2-1 الترتيب

2-1-1 الاسترجاع

2-1-2 الاستباق

2-2 المـدَّة

أوَّلاً: تسريع الزَّمن

أ_ الخلاصة

ب_ القطع (الحذف)

ثانياً: تبطيء الزَّمن

أ_ الحوار (المشهد الحواري)

ب_ الوصف (الوقفة الوصفيَّة)

تمهيـــــد:

يُعتبر الزَّمن جزءاً من وجود وأفعال الإنسان؛ لأنَّ الإنسان في حقيقته كائن زماني، وقد عالج الفلاسفة مشكلة الزَّمن منذُ قديم الزَّمان إلى يومنا هذا، فكثُرت مفاهيم الزَّمن حوله وتعدَّدت، ولكن ما يهمُّنا هو الزَّمن الأدبي كدرجة أولى، وهو يمثِّلُ عُنصراً رئيساً من العناصر الَّتي تُكوِّن الرِّواية، ولهُ أهميَّة كبيرة في بِناء النَّص الرِّوائي.

ورغم تعدُّد المفاهيم والتَّعريفات، لم يتوصّلوا إلى حدِّ الآن إلى تعريف واحد جامع، وحاول العديد من الفلاسفة والعلماء وغيرهم إلى الإجماع على تعريف واحد لكن لمْ ينجحوا؛ لأنَّ كل منهم ينظر إلى المصطلح بنظرة تخصُّه هو ومن زاويته الَّتي تساعده وتتناسب مع مُنطلقاته وتفكيره.

وقدْ جعلَ هذا جان بويون "يدعو إلى ضرورة احترام خاصيَّة الزَّمن في دراسة العمل الرِّوائي، بل إنَّه ذهب إلى حدْ أنْ جعل فهم أي عمل أدبي مُتوقِّفاً على فهم وجوده في الزَّمن"[1].

وهنا قد صرَّح إلى ضرورة الإهتمام بعنصر الزَّمن في الرِّواية، كونهُ يُسهم في خلق معنى الرِّواية ويمنحها الهويَّة الَّتي توضِّحُها.

وقدْ أشار توماشفسكي " إلى أهميَّة تحليل الزَّمن وإبراز الأدوار الَّتي يقوم بها في العمل الحكائي، مُميِّزاً بين زمن المتن الحكائي وزمن الحكي"[2].

الأوّل يقوم بدراسة وتحديد الزَّمن الَّذي وقعت فيه الأحداث، أمّا الثَّاني بمُدَّة قراءة النَّص.

[1] حسن بحراوي، بنية الشّكل الرِّوائي "الفضاء، الزمن، الشخصيّة"، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء: المغرب-بيروت: لبنان، 1990م، ص 109-110.

[2] سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي" الزّمن- السّرد-التّبئير"، المركز الثقافي العربي، ط3، الدار البيضاء: المغرب- بيروت: لبنان، 1997م، ص 70.

1. زمـــن القصَّـــة:

يُعرِّف تودوروف زمن القصَّة هو: " الزَّمن الخاص بالعالم التَّخييلي"[1].

لحد الآن لازالت مُشكلة ظهور رسالة التّوابع والزّوابع لابن شُهيد في موضع أخذ وردّ من الباحثين، ولا زلنا لسْنا مُتأكّدين من اليوم، والشّهر، والسّنة، غير أنّ الْمُستشرق بروكلمن؛" يزعم أنّها صُنِّفت قبل رسالة الغفران بعشرين سنة. ومعلوم أنَّ أبا العلاء ألَّف رسالتهُ الإلاهيَّة في أثناء عُزلته سنة 424هـ (1032م)، فيكون أبو عامر قدْ أنشأ التّوابع والزّوابع سنة 404هـ (1013م) على رأي العالم الألماني"[2].

وهنا قدْ يوضِّح لنا هذا المستشرق الفرق الزّمني بين رسالة ابن شُهيد ورسالة الغفران،وأنَّ رسالة التّوابع والزّوابع لابن شُهيد كُتبت قبل رسالة الغفران.

وممَّا جعل مصطفى عليان يوافقه نفس الرّأي، ورجَّح كتابتها " ما بين 416هـ و420هـ؛ لأنَّ ابن شُهيد تُوفِيَ عام 426هـ بعدما مرض بالفالِج لسبعة أشهر الأمر الَّذي يمنعهُ من تأليف الرِّسالة الَّتي تحتاجُ إلى طول نفس"[3].

وهذين الإثنين رجّحُوا بأسبقيّة كتابة رسالة التّوابع والزّوابع لابن شُهيد وأعطوا لنا دلائل وتواريخ تثبت ذلك، ولكن نجد البعض ذهبوا بأسبقيّة أنّ أبا العلاء ألّف قبل أبو عامر، ومن مُمثِّلي هذا الرّأي د- شوقي ضيف في قوله عن ابن شُهيد: "وقدْ كتب رسالة هي أشبه برسالة الغفران من حيث أسلوبها الأدبي، وسمّاها التّوابع والزّوابع، ولعلّ ابن شُهيد كان يُقلِّد أبا العلاء في ذلك لأنَّه أدرك عمره، ولأنّ شُهرة أبي العلاء كانت ذائعة في المشرق والمغرب، وكان أهل الأندلس يُقلِّدون المشرق في كل شيء"[4].

وهذا رأي ثالث في قضية أسبقيّة رسالة ابن شهيد عن رسالة أبي العلاء، ولحدّ السّاعة لمْ نعرف مَنْ مِنَ الآراء صحيحة.

عند قراءتنا لرسالة ابن شُهيد نجدُ فيها زمنين، الأوّل: **حاضِر**؛ ونجده في بداية الرِّسالة عندما خاطب البطل صديقهُ أبي بكر في قوله: " لِلَّهِ أبا بكرا ظَنٌّ رمَيتَهُ فأصْمَيْتُ، وحدْسٌ أمَلْتَهُ فما أشْوَيْتُ! أبَدَيْتَ بِهما وَجْهَ الجَلِيَّةِ، وكشَفْتَ عَنْ غُرَّةِ الحقيقة، حين لَمَحْتَ صَاحِبَك الَّذي تَكَسَّبْتَهُ ورأيْتَهُ قَدْ أخذ بأطْرافِ السَّماء، فألَّفَ بين قَمَرَيْها، (....)، إلى غير ذلك"[5].

---

[1] حسن بحراوي، بنية الشّكل الرِّوائي، المرجع السّابق، ص 114.

[2] ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، المصدر السّابق، ص 91.

[3] نظيرة لعمالي، ضفادع أرسطو فانيس وتوابع وزوابع لابن شهيد "دراسة مقارنة نصيّة " (مذكرة ماجيستير)، قسم اللُّغة العربيّة وآدابها، كليَّة الآداب والعلوم الإجتماعيَّة، جامعة سعد دحلب -البليدة- ، ماي 2010، ص 49.

[4] المرجع نفسه، ص 48.

[5] ابن شُهيد الأندلسي ، رسالة التّوابع والزّوابع ، المصدر السّابق ، ص 117.

أمّا الزّمن الثّاني هو: **ماضٍ**، في قوله: "كُنْتُ أيَّامَ كُتَّابِ الهجاء، أحِنُّ إلى الأدباء، وأصبو إلى تأليف الكلام؛ فاتَّبعْتُ الدَّواوين، وجلسْتُ إلى الأساتِيذْ، (...)، ولم أكُن كالثّلجِ تَقْتَبِسُ منهُ ناراً، ولا كالحِمارِ يَحْمِلُ أسْفاراً، (...)، وكان لي أوائلَ صَبْوَتِي هَوًى اشْتدَّ به كَلَفي، ثم لَحَقَنِي بَعْدُ مَلَلٌ في أثناء ذلك الميل..."[1].

واعتمد ابن شُهيد بعض الأحيان في رسالته التّوابع والزّوابع على صيغة الْمُفاعلة في الماضي، حين قال: " تذاكرتُ يوماً مع زُهير بن نُميرٍ أخبار الخطباء والشّعراء، وما كان يَأْلَفُهُمُ من التّوابع والزّوابع"[2].

ونجدُ أيضاً بعضِ الأحيان صيغة الجَّمع في الماضي، كقوله: "(جَزَعْنا، رَأيْنا، رَكَضْنا، انْتَهيْنَا ، انْصَرَفْنا)"[3].

وهذه هي أغلب الصِّيغ الَّتي اعتمد عليها أبو عامر في رسالته والَّتي كانت واضحة وجلِيَّة في نصِّهِ

وإذا رجعنا للزَّمن الَّذي أُلِّفت فيه الرِّسالة؛ أيْ الزَّمن الموضوعي فنجدُها "في القرن الخامس للهجرة"[4]

ومن جهة الصِّيغ الزَّمنيَّة الموجودة في رسالتنا المدروسة نجدُ لفظة **الزَّمان**: "وما أنْتَ مُحْسِنٌ على إسَاءَةِ زَمانِكَ"[5]. فقد أضاف لفظة الزّمان في عدَّة مواضع في رسالته ليُبيِّن اختلاف الأزمنة فيها.

ونجدُ لفظة **الشَّهر** في قوله: "هُوَ بدَيْرِ حَنَّةَ مُنْذُ أشْهُر"[6]، وأيْضاً استعمل لفظة الشّهر كثيراً

وفي مواضع أخرى نجدُ لفظة **اليوم** مثال: إنَهُ لَفِي شُرْب الخمرة، منذُ أيَّامٍ عَشرَة"[7].

والصِّيغ السَّابقة هذه " تقترن بإشارات تُؤَكِّدُ انغِراسِها في الإطار الدُّنيوِي"[8].

2. زمـــن السّـــرد

بعض من النُقَّاد والدّارسين يطلق عليها الزَّمن الذّاتي؛ "وهو عبارة عن تشكيل مُرتبط بعمليّة التلفُّظ، ويُمكن للرِّوائي أن يتلاعب بالنِّظام الزَّمني بطريقة تكادُ تكون لا محدودة؛ لأنَّ الرَّاوي في القصَّة قدْ يبدأ السّرد في بعض اللأحيان بشكل يُطابق زمن القصَّة، ولكنَّه يقطع بعد ذلك السّرد، ليعود إلى وقائع تأتي سابقة في ترتيب زمن السّرد عن مكانها الطّبيعي في زمن القصّة"[9].

---

[1] ابن شُهيد الأندلسي ، رسالة التّوابع والزّوابع ، المصدر السّابق ، ص 118-119.
[2] المصدر نفسه، ص 122.
[3] المصدر نفسه، ص 125-131.
[4] عبد العزيز شبيل: "البنية القصصيَّة في رسالة التّوابع والزّوابع لابن شُهيد الأندلسي"، حوليات الجامعة التُّونيسيَّة، سوسة-تونس، 1988م، ع29، ص 149.
[5] ابن شهيد الأندلسي، رسالة التّوابع والزّوابع، المصدر السَّابق، ص 137.
[6] المصدر نفسه، ص 137.
[7] المصدر نفسه، ص 142.
[8] عبد العزيز شبيل، البنية القصصيّة في رسالة التّوابع والزّوابع لابن شهيد الأندلسي، المرجع السّابق، ص 150.
[9] فاطمة الزهراء عطيَّة، بنية الخطاب في رسالة التّوابع والزّوابع، المرجع السّابق، ص 164.

والآن سنُركِّز على عنصر مهم من عناصر الزَّمن ألا وهو التَّرتيب.

2-1- الترتيـــــب:

وهُناك من يُسمِّيه الْمُفارقات الزمنيَّة، لديها أسلوبان ويصطلح على هذين الأسلوبين؛ **الاسترجاع** و**الاستباق**، فالأوَّل يسير في الاتِّجاه المعاكس للزّمن؛ أيْ يرجع إلى الوراء لاستذكار الحدث السّابق، أمّا الثّاني فقدْ يسير باتِّجاه خط الزّمن؛ أيْ يسبق الأحداث ويقوم بسرد الأحداث بطريقة استشرافيَّة.

إذن فالعمل السَّردي يكون من خلال نسقين زمنيَّين؛ هما:

_ السَّرد الاستذكاري أو الاسترجاع (Analépse)

_ السَّرد الاستشرافي أو الاستباق (Prolapse)

2-1-1 الاسترجاع:

فقد عرَّف جيرار جنيت الاسترجاع على أنَّه هو:" كل ذِكر لاحق لحدث سابق للنقطة الَّتي نحنُ فيها من القِصَّة"[1] .

ونجدُ أيضاً حسن بحراوي ف كتابه «بنية الشَّكل الرِّوائي» تحدّث عن الاسترجاع بأنَّه هو: "عودة للماضي تُشكِّل بالنّسبة للسّرد استذكاراً يقُوم به لماضيه الخاص، ويُحيلنا من خلاله على أحداث سابقة عن النُّقطة الَّتي وصلتها القصَّة"[2] .

وهذا ما يؤكِّد لنا أنَّ الاسترجاع؛ هو تذكُّر أحداث وقصص حدثت وصارت في الماضي ففي رسالتنا التّوابع والزّوابع، نجد ابن شُهيد أحياناً يعود إلى زمن الماضي، فمثلاً حديثه عن محبوبته، يقول: "وكان لي أوائِلَ صَبْوَتِي هَوًى اشتدَّ به كلَفِي، ثم لَحَقني بَعْدُ مَلَلٌ في أثناء ذلك الميْل. فاتَّفَقَ أنْ مَاتَ مَنْ كُنْتُ أهْوَاهُ مُدَّة ذلك الْمَلَل، فَجَزِعْتُ وأخَذْتُ في رِثائِهِ يوماً في الحائِرِ"[3].

فهُنا كان يعبِّر عن مدى حُبِّه وشوقه لمحبوبته.

ونجدهُ أيضاً في موضع آخر يسترجع حدث صار معه في مجلس الأدب، يقول:"وحَضَرْتُ أنا أيْضاً وزهيرٌ مجلساً من مجالِسِ الجِنِّ، فتذاكرنا ما تعاوَرَتْهُ الشُّعراءُ من المعاني، ومن زادَ فأحسَن الأخْذَ، ومَنْ قصَّر فأنشدَ قَوْل الأفْوَهِ"[4] ؛ فهنا كان يتحدَّث عن قضيَّة السّرقات الشعريَّة، فمن أخذ من شاعر آخر شِعره وزاد فيه فهو أحْسن وأصاب، وأمّا من قصّر في الأخذ فهو سارق للمعنى وللَّفظ ولا حُسن فيه.

---

[1] جيرار جنيت، خطاب الحكاية "بحث في المنهج"، تر: محمد معتصم، عبد الجليل الأزدي، عمر حلى، المجلس الأعلى للثقافة، ط2، 1997، ص 51.
[2] حسن بحراوي، بنية الشّكل الرّوائي، المرجع السّابق، ص 121.
[3] ابن شُهيد الأندلسي، رسالة التّوابع والزّوابع، المصدر السّابق، ص 119.
[4] المصدر نفسه، ص 179.

ثُمَّ نجده يتحدَّث مع تابعه زُهير ويستذكر، بقوله: "رَأيْنا عَيْناً مُعينَةً تَسيلُ، ويدورُ ماؤُها فَلَكيًّا ولا يَحُول. فصاح بن زُهير: يا عنترُ بْنَ العَجْلان، حَلَّ بكَ زهيرٌ وصاحبهُ، فبِخَوْلةٍ، وما قَطَعْت معها من ليلةٍ، إلاّ ما عرضْتَ وَجْهَكَ لنا! فبَدَا إليْنا راكِبٌ جَمِيلُ الوجهِ..."[1].

وأيضاً مع صاحب أبي تمام قوله: "ثمَّ انْصرفْنَا، وركَضْنا حتَّى انْتَهينَا إلى شجْرةٍ غَيْناء يتفجَّر من أصْلِها عَيْنٌ كَمَقْلَةٍ حَوْراء..."[2].

وغير هذه الأقوال، توجد الكثير من الاسترجاعات، كل استرجاع عن قصَّة مُعيَّنة تخيَّلها ابن شُهيد.

2-1-2 الاستباق:

الاستباق وقدْ عرَّفهُ العديد من الكتّاب وأجمعوا على معنى واحد، فحسن البحراوي عرَّفهُ على أنَّهُ: "دلالة على كل مقطع حِكائي يروي أو يُثير أحداثاً سابقة عن أوانها أو يمكن توقُّع حدوثِها، وهو أيْضاً في حالات كثيرة يكون مُجرَّد استباق زمني الغرض منهُ التطلُّع إلى ما هو مُتوقع أو مُحْتمل الحدوث في العالم المحكي"[3].

وعند جيرار جنيت هو: "كل حركة سرديَّة تقوم على أن يُروى حدث لاحق أو يُذكر مُقدَّماً"[4]، وغيرهم من التّعريفات الكثيرة الَّتي تصُب في معنى واحد كما ذكرنا سابقاً؛ أنَّ الاستباق هو حركة تتَّجه نحو المستقبل وتوقُّعات خياليَّة من وحي السَّارد.

فنجد النّظرة الاستشرافية في رسالة ابن شُهيد في بعض الأقوال وكل منهم بمعنى مُختلف، فمثلاً نجدُ أُمنية صاحب أبي الطَّيب المتنبِّي لابن شُهيد بالمستقبل الزَّاهر، عندما قال لهُ: "إن امتدَّ به طَلَقُ العُمُر، فلا بُدَّ أن ينفثَ بدُرَرٍ، وما أراهُ إلاَّ سيُحتَضَر، بين قريحةٍ كالجَمْر، وهِمَّةٍ تَضَعُ أخْمَصَهُ على مَفْرِقِ البَدْر"[5]؛ فهذه المقولة تُلخِّص تمنِّي ورغبة ابن شُهيد في أن يكونَ أدبياً مُتفوِّقاً، وشاعِراً وناقداً وناثراً عبقرياً.

ونجدها أيضاً في مواضع أخرى، مثال في قوله: " وما أراهُ إلاَّ من اللُّكْنِ الَّذين ذَكَرَ، وإلاَّ فما للفصاحةِ لا تهدِر، ولا للأعْرابيَّةِ لا تُومِض؟ "[6].

ومثال آخر، يقول فيه: " إنِّي لأرى مِنْ دَمِ اليَرْبوُعِ بِكَفَّيْك، وألْمَحُ مِنْ كُشَى الضَّبِّ على مَاضِغَيْك. فتبسَّم إليَّ وقال: أهكذا أنْتَ يَاْ أطيْلِسْ..."[7].

---

[1] ابن شُهيد الأندلسي، رسالة التّوابع والزّوابع، المصدر السّابق ، ص 125.
[2] المصدر نفسه، ص 131.
[3] حسن بحراوي، بنية الشّكل الرّوائي، المرجع السّابق، ص 132-133.
[4] جيرار جنيت، خطاب الحكاية، المرجع السّابق، ص 51.
[5] ابن شُهيد الأندلسي، رسالة التّوابع والزّوابع، المصدر السّابق ، ص 155.
[6] المصدر نفسه، ص 160.
[7] المصدر نفسه ، ص 160-161.

فهذه كانت بعض الأمثلة عن نظرة ابن شُهيد الاستشرافية، الَّتي كان في كل مرَّة يتخيَّل ويتمنَّى أمر ما من وحي خياله.

2-2- الْمُـــــدَّة:

بعد أن قُمنا بدراسة عُنصُري التَّرتيب أو المفارقة الزمنيَّة، وأهم تأثيراتها على زمن السَّرد، فسنُحاول الآن من خلال هذا الجزء الوقوف على الاستغراقالزَّمني؛ أي بلفظة أخرى -المدَّة-؛ وفيها يتحدَّد زمن السَّرد تارة نرى أنَّ الأحداث تمشي بطريقة سريعة ، وهو ما يسمّى ب: **سرعة الزّمن**، وتارة أخرى نجدُ تباطُؤ في الزَّمن من جهة الأحداث وهذه تُسمَّى ب: **تبطيء الزَّمن** .

ولدراسة الاستغراق الزَّمني يجبُ أن نقوم بدراسة تقنياته الأربعة الآتية:

الخُلاصة و **القطع** (الحذف)، وهذين العنصرين ينتمون إلى **تسريع السَّرد**، وأمَّا **المشهد** (الحِوار) و **الوقفة الوصفيَّة** (الوصف)، فهُما ينتميان إلى **تبطيء السَّرد** .

أوَّلاً: تسريـــع الزَّمـــن

وفي هذا النَّوع يقوم السَّارد بتلخيص وتقليص الأحداث في روايته معتمداً على جملة أو عبارة تُوحي على هذه السُّرعة، وهذا من خلال عُنصرين:

أ_ الخُلاصـــــة (Lesommaire):

وقدْ سمَّاها جيرار جنيت ب «**المجمل**»، وهي: " السَّرد في بضع فقرات أو بضع صفحات لعدَّة أيَّام أو شهور أو سنوات من الوجود، دون تفاصيل أعمال أو أقوال"[1].

وعند حسن البحراوي، فإنَّ الخُلاصة: " تلخِّص لنا فيها الرِّواية مرحلة طويلة من الحياة المعروضة، وعرض الأحداث بكامل الإيجاز والتَّكثيف"[2].

ومن هُنا نفهم بأنَّ الخُلاصة؛ هي السَّرد السَّريع، ففيها يقوم السَّارد بتلخيص الأحداث الَّتي استغرقت أعوام وشهور، ويعرضُها في جُمل أو مقاطع دون أن يفصِّل في الأحداث.

ومن بين المواضيع والأمكنة الَّتي تجسَّد فيها تسريع الأحداث وتفاؤُتها، نجدُ مثلاً قولهُ:

"إلى أن انتهيتُ إلى الاعتذار من الملل الَّذي كان، فقلتُ:

[1] جيرار جنيت، خطاب الحكاية، المرجع السَّابق، ص 109.
[2] حسن بحراوي، بنية الشَّكل الرِّوائي ، المرجع السّابق ، ص 145.

وكُنـتُ مَلِلْتُـــكَ لاَ عـــن قِلًّـــــى
وَلاَ عَــنْ فَسَــادٍ جَـــرَى فِي ضمِيري"[1].

فقد نرى حُزن وألم، وملل ابن شُهيد بعد فُقدان حبيبته فاختصر ألمهُ والتَّعبير عن شِدَّة حُزنه في البيت الشّعري السَّابق.

ومن جهة أخرى نجدهُ يتحدَّث عن حياته الأدبية، وهو يقفز ويمسح بعض الفترات الزَّمنيَّة، ويحكيها دون تفاصيل عن رحلة علمه كيف كانت، كقوله: "فاتّبعتُ دواوين، وجلسْتُ إلى الأساتيذ، فنبض لي عرف الفهم، ودرَّ لي شِرْيانُ العِلم...، ويسيرُ المطالعةِ من الكتُب يُفيدُني"[2].

وغير هذا الكثير من الأمثلة الَّتي تبيِّن لنا أنَّ ابن شُهيد قام بتسريع السَّرد، وتفاوت الفترات الزَّمنيَّة في رسالته.

ب_ القطـــع (الحــذف) –L´ellipse–:

نجدُها عند حسن البحراوي مُسمَّاة ب: **الإسقاط**، فقد عرَّفها بأنَّها: "تقنية زمنيَّة تقضي بإسقاط فترة، طويلة أو قصيرة، من زمن القصَّة وعدم التطرُّق لما جرى فيها من وقائع وأحداث"[3].

وأمَّا عن حميد لحمداني، فنجدهُ في كتابه «بُنية النَّص السَّردي»، مُتحدِّثاً عن القطع بأنَّهُ: "قدْ يلتجئُ الرِّوائيُّون التقليديُّون في كثير من الأحيان إلى تجاوز بعض المراحل من القصَّة دون الإشارة بشيء إليها، ويُكْتَفى عادة بالقول مثلا: « ومرَّت سنتان» أو «وانقضى زمن طويل فعاد البطل من غيبته» ...الخ ؛ ويُسمَّى هذا قطعاً. ويتَّضحُ في هذين المثالين بالذَّات أنَّ القطع إمّا أن يكون مُحدَّد"[4].

فقد نفهم من خلال هذين التّعريفين؛ أنّ السّارد يقطع بعض الأحداث من النّص بتركه بعض الألفاظ الَّتي تدلُّ على ذلك، وهذا ما يُسمّى بالقطع المحدَّد، أمّا القطع غير المحدَّد فقد يستنتجهُ القارئ من خلال قراءته للنَّص.

وعند تفحُّصِنا لرسالة التّوابع والزّوابع، قد نجدُ ما حُذف من عمليَّة السَّرد، ففي البداية نجدُ بعض الأقوال الَّتي تُوحي على ذلك مثلا، "كَيْفَ أوتِيَ الحُكْمَ صبياً، وهزَّ بجِذْعِ نخلة الكلام فاسَّاقطَ علَيْهِ رُطَباً جَنيًّا؟ أمّا إنْ به شَيْطاناً يَهْديه، وسَيْصَباناًيأْتيهِ! وَأُقْسِمُ أنَّ لَهُ تابِعَةً تُنْجِدُهُ، وَزابعَةً تُؤَيِّدُه"[5].

[1] ابن شُهيد الأندلسي، رسالة التّوابع والزّوابع، المصدر السّابق، ص 119.
[2] المصدر نفسه، ص 118.
[3] حسن البحراوي، بنية الشَّكل الرّوائي، المرجع السّابق، ص 156.
[4] حميد لحمداني، بنية النَّص السَّردي «من منظور النَّقد الأدبي» ، المركز الثَّقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، بيروت، 1991م، ص 77.
[5] ابن شُهيد الأندلسي، رسالة التّوابع والزّوابع، المصدر السّابق، ص 118.

فهذا الإسقاط السَّريع تمثَّل في مُدَّة صِبَى ابن شُهيد؛ أيْ الوَقت الَّذي تلقَّى فيه تعليمهُ وأصبح أديباً عبقرياً، لهذا نجدُ صاحبه في الرِّسالة مُستغرِباً من عبقريَّتهُ.

ونجدُ مقطع آخر فيه قطع سريع، قائِلاً فيه: "كُنتُ أيَّامَ كُتَّاب الهِجاء، أحِنُّ إلى الأدباء، وأصبوُ إلى تأليف الكلام؛ فاتَّبَعْتُ الدَّواوين، وجَلَسْتُ إلى الأساتِيذ، فَنَبَض لي عِرْقُ الفَهْمَ، ودرَّ لي شِرْيانُ العِلْم، بموادَّ رُوحانيَّة؛ وقليل الالتِماح من النظر يزيدني، ويسيرُ المطالعةِ من الكُتبِ يُفيدُني"[1].

وهُنا قد حذف الفترة الزَّمنيّة الّتي جلس فيها مع الأدباء، فلم يتحدَّث عنها، بل لَمَّح بأنَّهُ مرَّ بمراحل تعليميَّة من أجل الوصول إلى مستوى عالي، ومكانة مرموقة أمام الأدباء الآخرين.

وموضع آخر، يقول فيه: "كان لي أوائِلَ صبوتي هوًى اشتدَّ بِهِ كَلَفي، ثُمَّ لَحِقَنِي بَعْدُ مَلَلٌ في أثناء ذَلكَ الميْلُ"[2] .

وهنا تحدَّث عن أيّام الصِّبا، فأسقطها من السُّلم الزّمني؛ لأنَّه لا يهتم بهذه الفترة من حياته ولا يُريد ان يتذكَّرها.

ثانيـــاً: تبطـــــيء الزَّمن

يتم تعطيل أو تبطيء السَّرد بواسطة تقنيتي:**الحوار** و**الوصف**

أ_ الحـــوار (المشهد الحواري):

يقصد بالمشهد "المقْطع الحواري الَّذي يأتي في كثير من الروايات في تَضاعِيفِ السَّرد، إن المشاهد تُمثّل بشكل عام اللّحظة الَّتي يكادُ يتطابقُ فيها زمن السّرد بزمن القصَّة من حيث مُدَّة الاستغراق"[3].

كما عرَّفهُ لطيف زيتوني في «معجم مصطلحات نقد الرّواية»؛ أنّ المشهد هو:" أسلوب العرض الّتي تلجأ إليه الرّواية حيث تُقدم الشَّخصيَّات في حال حوار مُباشر.... في المشهد يَحْتجِبُ الرَّاوي فتتكلَّمُ الشَّخصيَّات بلِسانِهَا ولَهْجَتِها ومُستوى إدراكِها، ويَقِلُّ الوصف، ويزداد الميل إلى التَّفاصيل وإلى استخدام أفعال الماضي الناجِزُ"[4].

الشَّرط الأساسي الَّذي يجبُ توفُّره في المقطع السَّردي ليكون مشهداً هو: " حالة التَّوافق التَّام بين الزَّمنين، ولا يمكن لهذه الحالة أن تتحقَّق إلاَّ عبر الأسلوب المباشر وإقْحامِ الواقع التَّخييلي في صُلْبِ الخِطابِ" [5].

---

[1] ابن شُهيد الأندلسي، رسالة التّوابع والزّوابع، المصدر السّابق ، ص 118.
[2] المصدر نفسه ، ص 119.
[3] حميد لحميداني، بنية النّص السّردي، المرجع السّابق، ص 78.
[4] لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرّواية، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت-لبنان، ط1، 2002، ص 154-155.
[5] تزفيطانطودوروف، الشعريَّة ، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء- المغرب، ط1، 1987، ص49.

يقصدُ بتقنية المشهد: "المقطع الحواري، حيث يتوقَّف السَّرد ليُسْنِدَ السَّارد الكلام للشَّخصيَّات، فتتكلَّم بلسانها وتتحاور فيما بينها مباشرة، دون تَدَخُّلِ السَّارد أو وَساطَتِهِ، في هذه الحالة يُسمَّى السَّردُ بالسَّردِ المِشْهدي"[1].

و"يعطي المشهد للقارئ إحساساً بالمشاركة الحادَّة في الفعل إذ أنَّهُ يسمعُ عنهُ مُعاصِرا وقوعه كما يقع بالضَّبط وفي نفس لحظةِ وقوعه، لا يَفْصِلُ بين الفعل وسماعه سوى البَرْهنةِ الَّتي يستغرقها صوت الرِّوائي في قوله، لذلك يُستخدم المشهد للحظات المشحونة ويُقدم الرَّاوي دائما ذُروة سِياق من الأفعال وتأزُّمها في مشهد...."[2].

"يحتلُّ المشهد موقعاً مميِّزاً ضمن الحركة الزَّمنيَّة للرِّواية، وذلك بفضل وظيفته الدراميَّة في السَّرد وقُدرتهِ على تكسير رتابةِ الحَكْيِ بضمير الغائب الَّذي ظلَّ يُهيمن، ولا يزال على أساليب الكِتابة الرِّوائيَّة"[3].

من خلال ما سبق نستخلص، أنَّ المشهد الحواري تقنية من تقنيات تبطيء السَّرد؛ ففي المشهد ينقل لنا السَّاردُ أقوال الشَّخصيَّات كما هي دون زيادة أو نقصان.

ويُقسِّمُ النُقّاد الحوار إلى قسمين: **داخلي** و**خارجي**.

✓ **الحوار الدَّاخلي:**

يُصطلحُ عليه ب " الْمُناجاة حيثُ لا يشترط مُشاركة خارجيَّة في الحوار، ولا تَعاقُب في الإرسال والتَّلقي، بل يُلقى من طرف واحد وإليه، فهو نشاط أُحادي لِمرسل في حضور مُسْتمع حقيقي أو وَهْمي، أو هو عبارة عن عرض للحالة الدَّاخليَّة للشَّخصيّات، وكشف للمَكامِنْ، إذاً هُو الحوار الصَّادقُ بين الشَّخصيّات ونفسها"[4].

إذن، نستنتج أنَّ المناجاة؛ هي عبارة عن حديث يجري في نفس الشَّخصيَّة، أي حديث داخلي بين الشَّخصيَّة ونفسها.

يمكن أن نَسْتدِل على الحوار الدَّاخلي من خلال بعض الصِّيغ أو الألفاظ التَّعبيريَّة، مثال ذلك: قلتُ في نفسي، قالت في نفسها، قالت في سر....، ومن بين المشاهد الحواريَّة الَّتي وردت في رسالة التّوابع والزّوابع لابن شُهيد الأندلسي، نذكر ما يلي:

المثال الأوَّل:

[1] محمد بوعزَّة، تحليل النَّص السَّردي، دار العلوم العربية ناشرون، ط1، 2010، ص95.
[2]. سيزا قاسم، بناء الرِّواية دراسة مقارنة في ثلاثيَّة نجيب محفوظ، مهرجان القراءة للجميع، د-ط، 2004، ص 94-95.
[3]حسن بحراوي، بنية الشَّكل الرِّوائي، المرجع السَّابق، ص 166.
[4]فاطمة الزهراء عطيَّة، بنية الخطاب في رسالة التّوابع والزّوابع لابن شُهيد الأندلسي، المرجع السّابق، ص 176.

_ عند لقاء ابن شُهيد بصاحب الجاحظ عتبة بن أرقم الْمُكنّى بأبو عينية، قال: "فقلتُ في نفسي: قرعكَ باللهِ، بِقارِعَتِه، وجاءكَ بِمُماثلَتِهِ. ثَمَّ قلتُ لهُ : ليسَ هذا أعزَّكَ الله، منِّي جهلاً بأمرِ السّجع، وما في المماثلة والمقابلة من فَضل"[1].

المثال الثَّاني:

_عند لقائه بصاحب عبد الحميد الكاتب، قال: "فقلتُ في نفسي: طَيعُ عبد الحميد ومساقهُ، ورب الكعبة! فقلت لهُ: لقد عَجِلتَ، أبا هُبيرة"[2] .

المثال الثَّالث:

_أثناء لقاء ابن شُهيد بصاحب أبي القاسم، قال: " فقلت لنفسي: العصا من العُصَية! إن لم تُعرِبي عن ذاتِك، وتُظهري بعض أدواتِك، وأنت بين فُرسانِ الكلامِ، لم يطِرْ لكِ بعدها طائر، وكنتِ غرضاً لكل حجرٍ عابر"[3] .

✓ **الحوار الخارجي:**

يقصد بالحوار الخارجي؛ ذلك الحديث الَّذي يجري على لسان الشَّخصيَّات، ويمكن أن يكون حواراً بين شخصين فقط أو بين مجموعة من الأشخاص.

فهذا الحوار؛ "يتطلَّبُ أكثر من طرف لإدارة حديث متبادل بينهما، يُظهر كل واحد موضوعه بجلاء وبلُغته الخاصَّة، وهذا حوار مباشر، واضح المعالِم، حُر المطرح"[4] .

فقد احتلَّت تقنية المشهد الحواري نسبة كبيرة في رسالة التّوابع والزّوابع، فقام ابن شُهيد بتوظيفها على شكل حوار دار بينه وبين صديقه زهير بن نُمير، وتوابع الشُّعراء وبين بعض الحيوانات، ومن بين المشاهد السَّرديَّة، نذكرُ:

في رسالة التّوابع والزّوابع، هناك مشاهد حواريَّة دائمة بين ابن شُهيد وصديقه زُهير بن نُمير، وأوَّل مشهد دار بينهم في أوَّل لِقاء في قوله: " قلتُ لهُ: بأبي أنت! من أنت؟ قال: أنا زهير بن نمير من أشجع الجن. فقلت: وما الَّذي حداك إلى التصوُّر لي؟ فقال: هوًى فيك، ورغبةً في اصطِفائِك. فقلتُ: أهلاً بك أيُّها الوَجهُ الوضاح. صادفتَ قلباً إليك مقلوباً، وهوىً نحوكَ مجنُوناً"[5] .

يتَّضحُ لنا من خلال هذا المقطع الحواري؛ العلاقة الَّتي تربط ابن شُهيد بتابعه زُهير بن نُمير، الَّذي اختاره من قبيلة أشجع الجن.

---

[1] ابن شُهيد الأندلسي، رسالة التَّوابع والزَّوابع، المصدر السّابق، ص 158.
[2] المصدر نفسه ، ص 160.
[3] المصدر نفسه، ص 168-169.
[4] فاطمة الزهراء عطيّة، بنية الخطاب في رسالة التّوابع والزّوابع، المرجع السّابق، ص 173.
[5] ابن شُهيد الأندلسي، رسالة التّوابع والزّوابع ، المصدر السّابق، ص 120.

ومن المشاهد الحوارية الأخرى، الحوار الَّذي دار بين ابن شُهيد وتابعهُ وصاحبهُ أبي تمّام، في قوله: "فصاح زُهير: يا عَتَابُ بن حبناء حل بك زهير وصاحبهُ، فبعَمروٍ والقمر الطالع، وبالرُقعةِ المفكوكة الطابع، إلا ما أرَيْتَنا وجْهَك! فانْفَلقَ ماءُ العين عن وجه فتًى كفِلْقَةِ القمر، ثمّ انشقَّ الهواءَ صاعداً إلينا من قَعْرِها حتَّى استوى معنا، فقال: حيَّاك اللهُ يا زُهير، وحيَّا صاَحبَكَ! فقلت: وما الَّذي أسْكنكَ قَعْرَ هده العَين يا عتَّاب؟، قال: خيائي من التَّحسُّنِ باسمِ الشِّعرِ وأنا لا أُحْسِنهُ"[1] .

وفي مشهد آخر جرى حوار بين كل من صاحب الجاحظ وعبد الحميد الكاتب وابن شُهيد وتابعهُ، في قوله: "فقال لي زُهير: جَمعت لك خطباء الجن بِمَرجِ دَهْمان. وبيننا وبينهم فَرْسَخانْ، فقد كَفَيْتَ العَناءَ إليهم على انفِرادهم، فقلتُ: لم ذاك؟ قال: للفرق بين كلامين اختلف فيه فتيان الجن وانتهينا إلى المرجِ فإذا بنادٍ عظم، قد جمع كل زعيم، فصاح زُهير: السلام على فُرسان الكلام، فردوا وأشاروا بالنزولِ، فأخْرَجَوا حتَّى صِرْنا مَرْكَزَ هالةِ مَجْلِسهِم، والكل منهم ناظرُ إلى شيخٍ أصْلع... فقلتُ سرًّا لزهير: من ذاك؟، قال: عُتبة بن أرقم صاحب الجاحظ، وكنيته أبو عُيَيْنَة، فقلتُ: بأبي هو! لَيسَ رغبتي سِواه، وغيرَ صاحبِ عبد الحميد، فقال لي: إنَّه ذلك الشَّيخُ الَّذي إلى جنبه..."[2].

تتجلّى في الرِّسالة مشاهد حواريَّة، جرت على ألْسِنة الحيوانات كلُغة الحمير، وبغلة أبي عيسى والإوزَّة الأدبيَّة، وهذا ما نجده في قوله: "فقلت لزهير: ما شأنها، قال: هي تابِعة شيْخٍ من مَشِيخَتِكُمْ، تُسمَّى العاقِلة، وتُكنَّى أُم الخفيف؛ وهي ذات حظٍ من الأدب، فاسْتَعِد لَها، فقلت: أيتُّها الإوزّة الجملة، العريضة الطّويلة.... فقالت: أيُّها الغارُ المغرور، كيف تحكُم في الفُروع وأنت لا تحكم الأُصول؟ ما الَّذي تُحْسِن؟، قلت: ارْتِجال شِعْر، واقْتِضاَب خُطْبةً، على حُكمِ المقْتَرح والنُّصْبة. قالت: ليس عن هذا أسْألُكَ، قلت: ولا بغير هذا أُجاوبك، قالت: حُكم الجواب أ، يقع على أصل السُّؤال، وأنا إنّما أردتُ بذلك إحْسانَ النَّحو والغريب الَّذين هما أصل الكلام ومادة البيان. قلت: لا جواب عندي غير ما سمعتِ، قالت: أقسمُ أنَّ هذا مِنْكَ غير داخل في باب الحبل، قلت: وبالجَدلِ تَطْلُبينَا وقدْ عَقَدْنا سَلْمَة... قالت: أقسم أنَّ الله ما عَلمكَ الجدل في كتابه. قلت: مَحْمُولُ عَنْكِ أم خفيفُ، لا يَلْزَمُ الإوَزُ حِفْظَ أدَبِ القُرآن"[3] .

[1]ابن شُهيد الأندلسي، رسالة التّوابع والزّوابع، المصدر السابق، ص 131-132.
[2]المصدر نفسه، ص 157-158.
[3]المصدر نفسه ، ص 206-207-208.

وهذه بعض من الأقوال السّابقة قدْ تُوضِّح لنا الجدل الَّذي جرى بين ابن شُهيد، والإوزَّة أم خفيف حول نقاشهم عن الأدب والشِّعر وأصوله.

ب_ الوقفة الوصفيّة:

وتعدُّ الوقفة الوصفيّة من أهم تقنيات تبطيء السَّرد إلى جانب المشهد الحواري؛ فهي بدورها تُمثِّل مساحة للاستراحة الَّتي يتوقَّفُ فيها السَّارد، من خلال ترك مجال للوصف، لذا يتوجَّبُ على السَّارد أن يقف في مكان معيَّن للاستراحة.

والشائِع أنَّ أقرب مصطلح لها هو؛ الاستراحة " وفي توقيف السَّرد عن الحركة وتعطيلها، ويُسمِّيها «حسن بحراوي» الوقفة الوصفيَّة ووظيفتُها تمديد الزَّمن السَّردي لرسم بعض المشاعر أو وصف معيَّن واسترجاع بعض الأنفاس"[1] .

وعند حميد لحميداني في «بنية النّص السّردي»؛ "قد تكون في مسار السّرد الرّوائي توقُّفات مُعيّنة يُحدثُها الرّاوي بسبب لُجوئه إلى الوصف، فالوصف يقتضي عادة انقطاع السَّيرورة الزَّمنيَّة ويُعطِّل حركتها"[2] .

والوقفة الوصفيّة؛ "تتحقَّق عادة بإبطاء السَّرد من خلال الوصف ويكون فيها زمن القصّة أكبر من زمن الحكاية بصورة واضحة، وتكون الوقفة الوصفيّة ذات كِتابة مُطلقة، لأنّها تَسْتنِدُ على تعطيل فاعليَّة الزَّمن السَّردي، من خلال تِعْداد ملامح، وخصائص الأشياء"[3] .

من خلال ما سبق نرى أنَّهُ يقصدُ بالوقفة الوصفيَّة؛ هو توقُّف السَّارد عن عمليَّة السَّرد، وبالتَّالي تعطل السّيرورة الزّمنيّة، وذلك من خلال اللُّجوء إلى آلية الوصف، وهاته التِّقنية تقوم على تشخيص الأشياء لا الأحداث.

و "تشترك الوقفة الوصفيَّة مع المشهد في الانشغال على حساب الزَّمن الَّذي تستغرقه الأحداث..؛ أي في تعطيل زمنيَّة السَّرد وتَعليق مجرى القِصَّة لِفترة قد تطول أو تقصر ولكنهما يَفْترِقان، بعد ذلك، في اسْتِقلالِ وظائِفِهما وفي أهدافها الخاصّة، ويمكن التَّمييز منذُ البداية بين نوعين من الوقفات الوصفيّة: الوقفة الَّتي تُرْتَبَط بلحظة مُعيَّنة من القصّة حيث يكون الوصف توقُّفا أمام شيء أو عرض

[1] دخيّة فاطمة، الحركة الأدبيّة في الجزائر خلال العهد العثماني، (مذكرة دكتوراه)، قسم الآداب واللغة العربيّة، جامعة محمد خيضر، 2014-2015، ص 225.

[2] حميد لحميداني، بنية النّص السّردي من منظور النقد الأدبي، المرجع السّابق، ص 76.

[3] عمر عيلان، في مناهج تحليل الخطاب السردي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سلسلة دراسات2 ، 2008، ص 136.

(Spéctacle) يتوافق مع تَوَقُّف تَأمُلي للبطل نفسه، وبين الوقفة الوصفيَّة الخارجيَّة عن زمن القصّة والَّتي تُشبه إلى حدٍّ ما محطات استراحة يستَعيدُ فيها السَّردُ أنفاسهُ"[1] .

ومن جهة بعض النُقَّاد فقد عرَّفوا الوقفة الوصفيّة بأنَّها: " التوقُّف الحاصِل من جراء المرور من سرد الأحداث إلى الوصف"[2] .

ونجد تعريفات أخرى، مثل الوقفة هي: " ما يحدث من توقُّفات وتعليق للسّرد بسبب لُجوء السّارد إلى الوصف والخواطر والتّأمُّلات، فالوصف يتضمّن عادة انقطاع وتوقف السّرد لفترة من الزّمن"[3] .

وأيضاً يُشير مصطلح الوقفة إلى "مواضع في القصّة يتعطّل فيها السّرد وتُعلَّقُ الحكاية لِيفْسحُ في المجال للوصف أو التّعليق أو التأمُّل أو غير ذلك من الاستطرادات الَّتي تُدْرجُ ضمن ما يُسمّى بتدخُّلات المؤلّف. إذن الوقفة تُجسد أقصى درجات الإبْطاء في السّرد "[4] .

ومن جميع ما سبق نستخلص؛ بأنَّ تقنية الاستراحة يعمد إليها الكاتب، من أجل أن يفسح المجال لنفسه ليصف لنا الإطار الخارجي الَّذي تدور فيه الأحداث، كما يقدِّم لنا وصفا للفضاء الجُغرافي ووصفاً خارجيًّا للشَّخصيّات (وصف ملامحها ولباسها، و....غيرها).

قدْ لعب الوصف دوراً بارزاً في عمليَّة إبطاء الحكي، والَّتي لجأ إليها ابن شُهيد في كثير من الأحيان، فلا يكادُ يمر على لقاء من لقاءاته بتوابع الشُّعراء والكُتّاب أو على مكان، إلاَّ ووضَّح مزاياه وزواياه، وبرزت الوقفة الوصفيَّة من خلال وصف بيئات توابع الشُّعراء وتوابع الخُطباء ووصف الشَّخصيّات والأماكن، الَّتي زارها كل من ابن شُهيد وصديقه زهير بن نمير خلال هاته الرحلة، وهذه بعض الأمثلة:

المثـال الأوَّل:

في قوله: " سارَ بِنا كالطّائر يَجْتابُ الجْوَ فَالجْوْ، ويقطعُ الدَّو فَالدَّو، حتَّى الْتَمَحْتُ أرْضاً لا كأرْضِنا، وشَارَفْتُ جواً لا كَجَوِنا، مُتَفَرِعُ الشَجَرِ، عَطِرُ الزهْرِ"[5] .

في هذا المقطع وصف لنا ابن شُهيد، بيئة امرؤ القيس وصفاً دقيقاً بغرضِ إبطاء السَّرد.

المثـال الثَّاني:

يقول: " ركضنا حتّى انتهينا إلى غيْضَةً شَجَرُها شَجْران: سامٌ يفوحُ بَهاراً، وشَجَرُ يُعبِقُ هِنْدِيًّا وغاراً، فرأيْنا عَيْناً مُعِينَةً تَسيلُ، ويدورُ ماؤُها فلكِيًّا ولا يحولُ"[6] .

---

[1] حسن بحراوي، بنية الشّكل الرّوائي، المرجع السّابق، ص 175.
[2] نبيل حمدي الشّاهد، بنية السّرد في القصّة القصيرة سليمان فياض نموذجا ، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، د-ط، 2016، ص 250.
[3] محمد بن عزة، تحليل النص السردي -تقنيات ومفاهيم- ، المرجع السّابق، ص 96.
[4] محمد القاضي وآخرون، معجم السّرديات، دار محمد علي للنشر، تونس، ط1، 2010، ص 478.
[5] ابن شُهيد الأندلسي، رسالة التّوابع والزّوابع، المصدر السّابق، ص 122.
[6] المصدر نفسه، ص 125.

المثـال الثَّالث:

يقول: " سِرْنا حتّى انتهينا إلى أصل جبلِ دير حَنَّة، فشقَّ سَمعي قَرْعُ النَّواقيس فَصِحْتُ مِنْ منازِلِ أبي نوّاس. وربِّ الكعبة العلياء! وسِرْنا نَجتابُ أدياراً وكنائسَ وحانات حتّى انتهينا إلى ديرٍ عظيمٍ تعبقُ روائِحهُ وتصُوك نوافِحُه"[1].

المثـال الرَّابع:

قال ابن شُهيد: "أقْبَلتْ نحونا الرَّهابِين، مُشدَّدةً بالزّنانر، قد قَبَضتْ على العكاكيز بِيضَ الحواجِبِ واللَّحى إذا نظروا إلى المرء استحَيَا، مُكثرِين للتَّسبيحِ عليهم هَدْيُ المسيح"[2].

المثـال الخامِس:

في قوله: " نزلنا وجاؤوا بنا إلى بيتٍ قد اصطفَّت دِنانُه، وعكَفتْ غِزلانه، وفي فُرْجَتِهِ شيخٌ طويلُ الوجهِ والسَّبلة، قد افترشَ أضغاثَ زَهْر، واتكأ على زِقٍّ خَمْر، وبيده طَرْجَهارة، وحوالَيْه صِبْيةٌ كأظْبٍ، تَعْطُو إلى عَرارة"[3].

المثـال السَّادس:

"شيخٍ أصلع، جاحظ العينِ اليمنى، على رأسهِ فَلَنْسُوَةٌ بيضاءُ طويلة"[4].

هذه وقفة وصفيَّة، يُبرز من خلالها ابن شُهيد الملامح الخارجيَّة لِصاحب الجاحظ.

المثـال السَّابع:

"نُقْرَةُ الفضَّة البيضاء، لا تَرُدُّ عنِ العَضَّة. أبِنارٍ طُبِخَتْ أَم بِنُور؟ فإنِّي أراها كقِطَعِ البَلُّور؛ وبلوزٍ عُجِنت أم بِجَوز؟ فإنِّي أراها عَينَ عَجينِ الموز"[5].

قدَّم لنا ابن شُهيد تفصيلات دقيقة في استراحة، واصِفاً لنا في رسالة الحلواء نوع من أنواع الحلوى ألا وهي؛ القبيطاء.

المثـال الثَّامن:

"ذلك من العُقم. قلتُ: بحَياتي هاتِه، قال: أزرقُ كعين السِّنَّور، صافٍ كقَضيبِ البِلَّور؛ انتُخِبَ من الفُرات؛ واستُعمِل، بعد البيات، فجاء كلسان الشَّمعة، في صفاء الدمعة"[6] .

[1] ابن شُهيد الأندلسي، رسالة التّوابع والزّوابع، المصدر السّابق ، ص 141.
[2] المصدر نفسه، ص 141-142.
[3] المصدر نفسه، ص 142.
[4] المصدر نفسه، ص 158.
[5] المصدر نفسه، ص 163.
[6] المصدر نفسه، ص 173.

المثــال التَّاسع:

" أسْودُ زَنْجِيّ، وأهليٌّ وَحشِيّ؛ ليس بِوانٍ ولا زُمَيْل، وكأنَّه جُزءٌ لا يتجَزَّأُ من ليل؛ أو شُنيزة، أوْثَقَتْها غريزة؛ أو نقطةُ مِداد، أو سُوَيْداءُ قلبِ قُراد؛ شُربه عَبّ، ومَشْيه وَثْب؛ يكْمُنُ نَهارَه، ويَسْري ليلَه؛ يدارك بطَعْنٍ مؤلم، ويَستَحِلُّ دمَ كلِّ كافرٍ ومُسلم؛ مُساوِرٌ للأساوِرة، يَجُرُّ ذَيلَه على الجبابرة؛ يتكفَّرُ بأرفعِ الثِّياب، ويهتِكُ سِترَ كلِّ حِجاب، ولا يحفِلُ ببَوَّاب؛ يرِدُ مَناهِلَ العَيش العَذبة، ويصِلُ إلى الأحراج الرَّطْبة، لا يَمنَعُ منه أمير، ولا يَنفَعُ فيه غَيرةُ غيور، وهو أحقر كلِّ حقير؛ شرُّه مَبْثوث، وعَهدُه منكوث، وكذلك كلُّ بُرغُوث، كفى بهذا نَقْصاً للإنسان، ودلالةً على قُدرةِ الرَّحمَن"[1] .

فقام ابن شُهيد بتوقيف الأحداث، من أجل أن يُقدِّمُ لنا مقطعاً وصفِيًّا؛ يصفُ فيه البرغوث.

المثــال العاشِر:

"ثم ترفَّعتْ وقد اعترتْها خِفَّةٌ شديدةٌ في مائِها، فمرَّةً سابحة، ومرةً طائرة، تنغمسُ هنا وتخرُج هناك، قد تَقَبَّب جَناحاها، وانتصبت ذُناباها، وهي تُطرِّب تطريبَ السُّرور؛ وهذا الفعل معروفٌ من الإوَزِّ عند الفرح والمرح "[2].

بناءاً على ما تقدَّم، نستخلص أنَّ هُناك مظهرين أساسيين وردا في رسالة التّوابع والزّوابع: هما تسريع السَّرد وتبطيء السَّرد، ساهما بشكل كبير في تشكيل بنية السَّرد.

[1] ابن شُهيد الأندلسي، رسالة التّوابع والزّوابع، المصدر السّابق، ص 170-171.
[2] المصدر نفسه، ص 207.

خاتمة

بعد البحث في ثنايا آليات السَّرد في رسالة "**التّوابع والزّوابع**" **لابن شُهيد الأندلسي**، محاولين تسليط الضَّوء على عُنصر الوقفة الوصفيَّة وتجليَّاتها، توصَّلنا إلى مجموعة من النَّتائِج أهمُّها:

- ✓ إنَّ الرِّسالة قامت بإسهام كبير في ارتفاع ورُقي الفن النَّثري العربي، وتطوُّرِها من حيث الموضوعات والأغراض الفنيةَّ.
- ✓ أظهرت دراسة الرَّسائِل الدِّيوانيَّة والإخوانيَّة عن العلاقات الحميميَّة والتَّرابُط الاجتماعي، فقد شاعت بين الأفراد الكثير من معاني الود والصَّفاء والتَّلاحُم الاجتماعي النّبيلة من تهنئة وتعزية ومعاتبو إلى جانب الاعتذار والعتاب.
- ✓ وهاتين الرِّسالتين كانا من أم الرَّسائل المتداولة وقد تنوّعت أعلامها وموضوعاتها، إلاَّ أنَّهما يختلفان من حيث الألفاظ، فكَاتِب الرَّسائل الإخوانيَّة حُرْ فيما يكتبهُ لا ينتقي ألفاظه فهي مُوجَّهة إلى شخص عادي مثله على عكس كاتب الرِّسالة الديوانيَّة، يجب أن يخيِّر كلماته بعناية بما أنَّها مُوجَّهة إلى سلطة عليا في الدَّولة.
- ✓ تميُّز النَّثر الأندلسي بكثرة الرّسائل الأدبيَّة فيه، وميلهم الواضح إلى الدُّعابة الفُكاهة، وهما يتَّضِحان في كثير من رسائِلهم الشَّخصيَّة.
- ✓ تميُّز الرِّسالة في الأندلس ببعض الخصائص، كالبدء والعرض والختام، وجزالة الأسلوب وصيغ الدُّعاء والتّشبيهات، والاقتباس من القرآن الكريم والحديث النّبوي الشّريف.
- ✓ رِسالة التَّوابع والزّوابع عبارة عن رحلة خياليَّة، تحدّث فيها ابن شُهيد على لسان الجنّ؛ للرّد على بعض النُّقّاد والخصوم، وإظهار قدراته الأدبيّة والنّقديّة.
- ✓ ضَمَّنَ أبو عامر الأندلسي في رسالته المقامات، ومَزجَ فيها الشِّعر بالنَّثر في قالب كوميدي.
- ✓ البحث في مُكوّن الزّمن، والتعرُّف عليه من خلال آراء بعض النّقّاد والفلاسفة، والتغلغل فيه؛ لأنّه عنصر مهم في بناء النّص السّردي، وأيضاً البحث عن زمن تأليف قصّة ابن شُهيد؛ أيْ الزّمن الموضوعي، ألا وقد كان هذا الزّمن في القرن الخامس للهجرة.
- ✓ المفارقات الزمنيّة عنصر مهم من عناصر الزّمن، يندرجُ تحتها أسلوبين: الاسترجاع؛ وهو استدعاء لأحداث وقعت في الماضي وتوظيفها في السّرد الحاضر، أما الاستباق؛ رُؤية خياليّة وتنبُّؤ لأحداث مُستقبليَّة.
- ✓ يحتل الاسترجاع حيِّزاً كبيرا في رسالة التّوابع والزّوابع، مُقارنة بالاستباق.

- ✓ وتمّت دراسة إيقاع السّرد من خلال التقنيّات الأربعة الأساسيّة، وهي: "الخلاصة"، و"الحذف"، و"المشهد الحواري"، و"الوقفة الوصفيّة".
- ✓ استنتجنا أن السّرد يُسرع عند اعتماد "ابن شهيد" على تقنية تسريع الزّمن، ألا وهما تقنيتا الخلاصة والحذف، الذي يقوم فيهما على تلخيص الأحداث وتفاوت الفترات الزّمنيّة.
- ✓ استخدامه تقنية تبطيء الزّمن من خلال المشهد الحواري والوقفة الوصفيَّة، فالأولى من خلال الحوار مع نفسه أو مع غيره من الشّخصيّات، أمّا الثّانية من خلال من وصف شخصيات أو أماكن أو أشياء أو حيوانات...

ما قدَّمناه في هذه الدِّراسة ليس إلاَّ إسهاماً مُتواضعاً من أجل الوصول إلى نتائج مُرضية، نأمل أن نكون قد وفَّقنا في عملنا هذا ولو بقدر يسير، في إعطاء لمحة وجيزة للوقفة الوصفيَّة في رسالة التّوابع والزّوابع لابن شُهيد الأندلسي، ولا ندَّعي أنّ هذا العمل خالي من العيوب. وفي الأخير نتمنَّى النّجاح والتّوفيق لنا وللجميع.

قائمـــة

المصـادر والمراجــع

_القرآن الكريم، برواية ورش

أولا_ المصادر:

1. ابن الآبار، الحُلَّة السيراء، تحقيق: حسين مؤنس، دار المعارف، ط2، القاهرة، مصر، 1985م، ج1.

2. ابن شهيد الأندلسي، رسالة التّوابع والزّوابع، تحقيق: بطرس البستاني، مكتبة صادر، د-ط، بيروت، 1991م.

3. ابن شهيد الأندلسي، ديوان، جمعه وحقّقه: يعقوب زكي، راجعه: محمود علي مكي، دار الكاتب العربي، د-ط، القاهرة، 385-456هـ.

4. أبو القاسم ابن شكوال، الصِّلة في تاريخ أئمة الأندلس، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط1، تونس، 2010م.

5. أبو الهلال العسكري، الصناعتين-الكتابة والشعر-، تصنيف: أبي هلال الأحسن عبد الله بن سهل العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي-محمد أبو الفضل إبراهيم، دار النشر المكتبة العصريّة، ط1، بيروت،1952م، ج1

ثانيا_ المراجع:

1. إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي "عصر سيادة قرطبة"، دار الثقافة، ط2، بيروت-لبنان، 1969م.

2. أحمد حسن الزيّات، تاريخ الأدب العربي للمدارس الثانويّة والعليا، دار نهضة مصر الفجالة، د-ط، د-ت.

3. أحمد ضيف، بلاغة العرب في الأندلس، مطبعة مصر، ط1، مصر، 1342هـ-1924م.

4. أحمد الهاشمي، جواهر الأدب-أدبيات وانشاء لغة العرب، المكتبة التجاريّة الكبرى، ط27، 1969م، ج1.

5. تزفيطانطودوروف، الشعرية، دار توبقال للنشر، ط1، الدار البيضاء-المغرب، 1987م.

6. جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، ط2، بيروت-لبنان، 1984م.

7. جيرار جنيت، خطاب الحكاية "بحث في المنهج"، ترجمة: محمد معتصم، عبد الجليل الأزدى، عمر حلى، المجلس الأعلى للثقافة، ط2، 1997م.

8. حسن بحراوي، بنية الشّكل الرّوائي "الفضاء-الزّمن-الشخصيّة"، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء-المغرب، بيروت-لبنان، 1990م.

9. حميد لحميداني، بنية النّص السّردي من منظور النّقد الأدبي، المركز الثّقافي العربي، ط1، الدار البيضاء-بيروت، 1991م.

10. حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، المطبعة البوليسيّة، ط2، 1954م.

11. حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي "الأدب القديم"، دار الجيل، ط1، بيروت-لبنان، 1986م.

12. زكي مبارك، النّثر الفنّي في القرن الرّابع، هنداوي، د-ط، القاهرة-مصر، 2012م.

13. سيزا قاسم، بناء الرّواية دراسة مقارنة في ثلاثيّة "نجيب محفوظ"، مهرجان القراءة للجميع، د-ط، 2004م.

14. سعيد يقطين، تحليل الخطاب الرّوائي "الزّمن-السّرد-التّبئير"، المركز الثقافي العربي، ط3، الدار البيضاء-المغرب، بيروت-لبنان، 1997م.

15. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول، دار المعارف، ط8، القاهرة، د-ت.

16. الطاهر توات، أدب الرسائل في المغرب العربي في القرنين السابع والثامن، ديوان المطبوعات الجامعيّة، ط2، 1993م.

17. عمر بن أبي ربيعة، الديوان، دار الجيل، ط1، بيروت-لبنان، 1992م.

18. عمر عيلان، في مناهج تحليل الخطاب السّردي، منشورات اتّحاد الكتاب العرب، د-ط، دمشق، سلسلة دراسات 2، 2008م.

19. فايز عبد النبي فلاح القيسي، أدب الرّسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، دار البشير، ط1، عمان-الأردن، 1989م.

20. لطيف زيتون، معجم مصطلحات نقد الرّواية، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، بيروت-لبنان، 2002م.

21. محمد بو عزّة، تحليل النّص السّردي-تقنيات ومفاهيم-، دار العلوم العربية ناشرون، ط1، 2010م.

22. محمد رضوان الدّاية، في الأدب الأندلسي، دار الفكر، ط1، دمشق-سوريا، 2000م.

23. محمد القاضي وآخرون، معجم السّرديّات، دار محمد على للنشر، ط1، تونس، د-ت.

24. محمد نبيه حجاب، بلاغة الكتاب في العصر العباسي، مكتبة الطالب الجامعي، ط2، 1986م.

ثالثاً_ المعاجم:

1. عبد القادر الرازي (محمد بن أبي بكر)، مختار الصِّحاح، مكتبة لبنان، بيروت، د-ط، د-ت.

2. ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم)، لسان العرب، دار الصادر، بيروت، د-ط، د-ت، ج11.

رابعاً_ الرّسائِل الجّامعيّة:

1. نظيرة لعمالي، ضفادع أرسطو فاسيس وتوابع وزوابع "ابن شُهيد"، دراسة مقاربة نصيّة (مذكرة ماجيستير)، قسم اللّغة العربيّة وآدابها، كليّة الآداب والعلوم الاجتماعيّة، جامعة سعيد دحلب، البليدة، ماي 2010.

2. خضرة ناصف، التناص في رسالة التّوابع والزّوابع لابن شُهيد الأندلسي (مذكرة ماجيستير)، قسم اللّغة العربيّة وآدابها، جامعة المسيلة، د-ت.

3. فاطمة الزّهراء عطيّة، بنية الخطاب في رسالة التّوابع والزّوابع لابن شُهيد الأندلسي (مذكرة ماجيستير)، قسم الأدب العربي، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2008-2009م.

4. دخيّة فاطمة، الحركة الأدبيّة في الجزائر خلال العهد العثماني (مذكرة دكتوراه)، قسم الآداب واللّغة العربيّة، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2014-2015م.

خامساً_ الحوليّات:

1. عبد العزيز شبيل، البنية القصصيّة في رسالة التّوابع والزّوابع لابن شُهيد الأندلسي، حوليّات الجامعة التّونسيّة، سوسة-تونس، 1988م، ع29.

الملحـــــق

التّوابع والزّوابع: رسالة أدبيّة ألّفها أبو عامر ابن شُهيد الأندلسي؛ وهي قصّة خياليَّة تحكي عن رحلة في عالم الجن، التقى فيها البطل بشياطين الكُتَّاب والشُّعراء، فيُحاوِرهم ويحاورونه، ممَّا خلص به إلى سِمات أدبيّة وأخرى نقديَّة.

قُسِّمت رسالة التّوابع والزّوابع إلى مدخل وأربعة فصول: "توابع الشُّعراء، توابع الكُتّاب، نُقّاد الجن، حيوان الجن".

المدخل:

تحدَّث أبو عامر ابن شُهيد في مدخل رسالته إلى صديقه «أبي بكر بن حزم»، "فيذكر له كيف تعلّم ونبض له عرق الفهم، بقليل من المطالعة ثُمَّ ينتقل إلى خبر حبيب لهُ مات فأخذ في رثائه، فارتج عليه، وإذا بجنِّي اسمهُ زُهير بن نُمير يتصوَّر لهُ"[1]، و"يلقى إليه بتتمَّة الشِّعر، رغبة في اصطفائه كما تصطفى التّوابع خِلاَّنها، فتتأكّد بينهما الصُّحبة، فأصبح كُلَّما سُدَّت بوجهه مذاهب الكلام، يدعو تابعه بأبيات لقِنها عنهُ، فيُمثِّل لهُ، ويوحي إليه"[2].

الفصل الأول:

يبدأُ هذا الفصل بتذاكر ابن شُهيد وصديقه زُهير بن نُمير لأخبار الخطباء والشُّعراء، "فيسأل أبو عامر صاحبه أن يزيره أرض التّوابع والزّوابع، فيطير به على متن جواده حتّى ينزل وادي الأرواح، فيزور صاحب امرئ القيس، وصاحب طرفة من الجاهليِّين"[3].

و "يرغب في التحوُّل إلى العباسيِّين مُبتدِئاً بتابع أبي تمّام، فيلقى في طريقه شيطان قيس بن الخطيم من شُعراء الجّاهليّة، ثُم يصير إلى توابع الطائيين وشاعر الخمرة وينتهي به المطاف عند «خاتمة

[1] ابن شُهيد الأندلسي، رسالة التّوابع والزّوابع، المصدر السّابق، ص 98.
[2] المصدر نفسه، ص 98.
[3] المصدر نفسه، ص 98.

القوم»صاحب أبي الطّيب المتنبّي، وفي زيارته هذه يُساجِل الشُّعراء ويُعارِضهم ويُذاكرهم، ويأخذ الإجازة منهم"[1].

الفصل الثّاني:

يتحدّثُ الفصل الثّاني عن رغبة ابن شُهيد في لِقاء توابع الكُتّاب، فأخذه زهير إليهم، واجتمعوا في مرج دهمان للمُذاكرة، "فيهم صاحب الجاحظ وعبد الحميد وبديع الزّمان الهمذاني، فقدّم زُهير ابن شُهيد لصاحب الجاحظ الَّذي أجازه، ولكنَّهُ عدم في بلده فرسان الكلام، وهنا تحامل على النّثر الأندلسي، وناثريه، فعابهم جملة ممّا حمل صاحب «عبد الحميد» على التدخُّل في النِّقاش، ولكن ابن شُهيد ناظره وصمد لهُ، وبعد ذلك قرأ لهما رسالته في الحلواء على طريقة البديع فاستحسنا سجعهُ فيها، ثُمَّ شكا لهما حُسَّاده من الأندلسيّين وعلى رأسهم الإفليلي"[2].

الفصل الثّالث:

في هذا الفصل حضر ابن شُهيد وتابعهُ زُهير بن نُمير مجلس أدب من مجالس الجن، "عقده بعض أدباء الجن الَّذين أخذوا يتناشدون قصائداً لأعلام الشُّعراء من جاهليّين واسلاميّين وعباسيّين، مثل: «الأفوه الأودي» و«النابغة الذبياني» و«أبي نواس» و«صريع الغواني» و«أبي تمّام»و«المتنبّي»، وتكون جلسة مجموعة الجن الأدباء جلسة نقديّة يعرضون فيها أقوال الشُّعراء الّذين مرّ ذِكرهم في مقام وصف الطُّيور فيبدون جميعاً دون المستوى أمام شاعر جنّي اسمهُ «فاتك بن الصقعب»، الّذي ينشد شعراً جميلاً في الغرض نفسه فينال إعجاب الجن الأدباء"[3]، و"الشعر هنا بطبيعة الحال ليس إلاّ شعر ابن شُهيد، ويستعرض ابن شُهيد في هذا المقام منتدى الجن موهبته في نقد الشّعر، ولا يقف الأمر في هذا المشهد

[1] ابن شُهيد الأندلسي، رسالة التّوابع والزّوابع، المصدر السّابق، ص 98.
[2] فاطمة الزّهراء عطيّة، بنية الخطاب في رسالة التّوابع والزّوابع لابن شُهيد الأندلسي، المرجع السّابق، ص 43-44.
[3] المرجع نفسه، ص 44.

عند إنشاد شعره وإظهار مواهبه الأدبيّة والنقديّة، بل إنَّهُ أظهر المواهب الأدبيّة عند أفراد أسرته فجعل الجنّي يسأله عن أبيات من الشّعر بعينها، فإذا بها لأبيه، وأخيه، وعمّه، وجدّه، وجدّه لأبيه"[1].

الفصل الرّابع:

في هذا الفصل يزور ابن شُهيد حيوان الجن، وبينما هو يسير مع تابعه زُهير بن نُمير في أرض الجن، "يشرفان على نادٍ لحمير الجن وبغالهم، وقد وقع خلاف بينهما في شعرين لحمار وبغل من عشاقها، فتدعوه للحكم فيهما، ويعرف من بينهن بغلة أبي عيسى فيتحدَّثُ إليها، ويتذاكران دار الإنس ثمّ تعترضه إوزّة في بركة ما، هي تابعة لبعض الشُّيوخ، تريد مناظرته، في النحو والغريب، فيردعها، ويذكرها بسخفها وحمقها، وينتهي عندها ما بلغ إلينا من رسالة التّوابع والزّوابع"[2].

[1] فاطمة الزهراء عطيّة، بنية الخطاب في رسالة التّوابع والزّوابع لابن شُهيد الأندلسي، المرجع السّابق، ص 44.
[2] ابن شُهيد الأندلسي، رسالة التّوابع والزّوابع، المصدر السّابق، ص 100.

فهـــرس

الموضوعـــــات

المـــــــــحتـــــــوى	الصفحة
شكر وعرفان	//
مقدمة	أ- ب
الفصل الأول: فن الترسل في الأدب العربي	4
I. الرسالة	7
1- تعريف الرسالة.	7
1-1 لـــــغة	7
1-2 اصطلاحا	8
2- أنواع الرسالة.	10
2-1الرِّسالة الديوانية	10
2-1-1 التوقيعـات	11
2-1-2 التولية والتعيين	12
2-1-3 رسائل العهود	12
2-2الرِّسالة الإخوانيَّة	13
2-2-1 الاعتذار	14
2-2-2المودَّة والصداقة	15
2-2-3الاستمناح والطلب	16
2-3 الرِّسالة الأدبيــة	16
2-3-1 الهزليَّـــة	16
2-3-2 الزَّرْزوريّــات	17

2-3-3الرحلات الخياليَّة	18
3- خصائص الرسالة في الأندلس.	18
3-1 البدء والعرض والختام	18
3-2 الاقتباس والتضمين	19
3-3 الإيجاز والإطناب	20
3-4 سهولة الألفاظ وجزالتها	20
II. ترجمة ابن شُهيد.	20
1- حياتـــه.	21
1-1 نسبه ونشأته	21
1-2 صفاته وأخلاقه	23
1-3 وفـــاتـــه.	27
2- مع معاصريه.	30
2-1 أصحابه.	30
2-2 خصومه.	32
3- أدبـــــه.	34
3-1كـاتــب	34
3-2 شـــاعـرا.	35
3-3 نـــاقـد	38
الفصل الثاني: تمظهرات الوقفة الزمنية في رسالة التوابع و الزوابع	41
1. زمن القصة	41
2. زمن السرد	45
2-1 الترتيب	46

2-1_1 الاسترجاع	46
2-1-2_ الاستباق	47
2-2 المـدَّة	48
أوَّلاً: تسريع الزَّمن	48
أ_ الخلاصة	48
ب_ القطع (الحذف)	**49**
ثانياً: تبطيء الزَّمن	**50**
أ_ الحوار (المشهد الحواري)	**50**
ب_ الوصف (الوقفة الوصفيَّة)	**54**
خاتمة	**58**
قائمة المصادر و المراجع	**61**
ملحق	**66**
فهرس الموضوعات	70
ملخص	**//**

ملخص البحث:

تحمل دراستنا عنوان "الوقفة الوصفيَّة لرسالة التّوابع والزوابع لابن شهيد الأندلسي"، وتمَّ تقسيمها إلى فصلين. يتناول الفصل الأول الجانب النظري، حيث نقدم تعريفًا لمفهوم واصطلاح فن الترسُّل، ثم نتناول أنواعه المختلفة: الديوانية والإخوانية والأدبية. ومن ثم نتطرق إلى خصائص رسالة التوابع والزوابع في الأندلس، ونسلط الضوء على حياة وأدب ابن شهيد. أما الفصل الثاني فيركز على التطبيقات العملية، حيث ندرس زمن القصة ومفارقاته الزمنية من خلال مفهومي "الاسترجاع" و"الاستباق"، بالإضافة إلى تقنيات زمن السرد مثل "تسريع السرد وتبطئة السرد". ويتمحور تركيزنا في هذا الفصل حول تجليات الوقفة الوصفية في رسالة التوابع والزوابع.

Abstract:

Our study is titled "The Descriptive Approach to the Message of Tawabeen and Zawabeen by Ibn Shahid Al-Andalusi" and has been divided into two chapters. The first chapter addresses the theoretical aspect, where we provide a definition of the concept and terminology of the transmission art. We then discuss its various types: Diwani, Ikhwan, and literary. We also delve into the characteristics of the message of Tawabeen and Zawabeen in Al-Andalus, shedding light on the life and literature of Ibn Shahid. As for the second chapter, it focuses on practical applications, as we study the time of the story and its temporal contradictions through the concepts of "retrieval" and "anticipation," in addition to narrative time techniques such as "acceleration" and "deceleration" of the narrative. Our focus in this chapter revolves around the manifestations of the descriptive approach in the message of Tawabeen and Zawabeen